الرقيق والجندية في نظر محمد علي

دكتور تمام همام تمام

معهد البحوث والدراسات الافريقية
جامعة القاهرة

المجلة التاريخية المصرية ـ المجلة التاريخية المصرية ـ المجلة التاريخية المصرية ـ المجلة التاريخية المصرية

ان الذى دفعني الى كتابة هذا البحث (الرقيق والجندية فى نظر محمد على) عدة أسئلة ، كانت فى حاجة ماسة للاجابة عليها ٠٠ اجابة مجردة من أى عاطفة ٠٠ فمن خلال قراءتى عن تاريخ (محمد على) الذى تولى حكم مصر فى عام ١٨٠٥ ، لاحظت أن معظم الأجانب الذين عالجوا تاريخ وادى النيل فى عهده ، ذكروا أن هناك عوامل دفعته لفتح السودان فى سنتى ١٨٢٠/١٨٢١ ، وكان على رأس هذه العوامل ٠٠ الحصول على الرقيق ـ أى السود ـ لتجنيده فى الجيش المصرى الحديث ٠٠ ودونوا فى كتاباتهم ، أن الرجل ، كان يستغل الرقيق لمصـــلحته ، ويمارس التجارة فيه عن طريق حكامه فى السودان ، وأعطوا وصفا للمعاملة التى كان يلقاها الجنود السودانيون ، ماينددى له الجبين ، بل وما يعتبر سبة لا فى تاريخ « محمد على » بل فى تاريخ مصر نفســها ٠٠ وذكروا أن الغزوات التى كان يوجهها حكام السودان لجلب الرقيق ، ترتب عليها هجرة الأهالى وخراب السودان نفسه ٠

وهذا ما يجعل القارىء أن يضع (محمد على) فى قائمة (المستعمرين) الذين لا يهمهم الا مصـــلحتهم فى المقام الأول ، ولا يهمهم كيفية اتخاذ الوسائل وتنفيذها ، طالما تحقق الغايات ٠٠

ومما زاد فى الشك نحو (محمد على) أن هناك تقاريرا رسمية صادرة من حكومات أجنبية ، أيدت ما جاء فى كتابات هؤلاء الأجانب ·

لذلك تساءل الباحث مع نفسه ، ألا توجد علاقات بين المصريين والسودانيين ؟ ولماذا لجأ محمد على الى تجنيد الرقيق السودانى بالذات. ولم يجند أبناء المصريين ؟ هل لأن الرق نظام معترف به فى السودان منذ القدم ، وأن السودانيين كانوا يتاجرون فيه ؟ أم أن هناك أسبابا أخرى دعته لذلك ؟ وهل هناك عوامل ملحة جعلته يتحمل المشقة والتكلفة لجلب السود ؟ وتجنيدهم فى الجيش المصرى ، هل تعتبر تجربة جديدة ؟ وكيف عامل السود وهو ـ أى محمد على ـ كما يقول بعض الأجانب ، معاملة سيئة ، ويريد فى الوقت نفسه انجاح هذا الجيش ! ·

لم يجد الباحث اجابة مقنعة لتلك التساؤلات وغيرها ، نظرا لندرة المراجع المحايدة ، وما جاء من تلميحات عنها فى الكتب العربية ·· لذلك صمم الباحث على أن يدرس تلك القضية الخطيرة ، دراسة وثائقية ، من خلال الوثائق التى كشفت عنها دار الوثائق القومية بالقلعة ، ويقارن بينها وبين ما جاء فى التقارير والكتب الأجنبية ، لعله يصل الى الحقيقة التاريخية التى تجيب على تلك التساؤلات ، وتقطع الشك باليقين ، أو تكون هذه الدراسة بداية لغيره من الباحثين لاستخراج المزيد من الحقائق التاريخية التى تنطق بها الوثائق الأصلية ·

العلاقات بين مصر والسودان قبل محمد على :

يكاد يتفق كل من كتب عن تاريخ وادى النيل ، أن هناك علاقات وثيقة ، ربطت بين البلدين منذ أقدم العصور ، منها علاقات من نتاج الطبيعة ، علها لم تتوفر فى أى مكان مثلما توفرت فى بلدين كمصر والسودان ، ومنها علاقات أخرى من نتاج البشر ، ترتبت عليها وجود حضارة ، ان لم تكن واحدة ، فهى على الأقل متشابهة فى كثير من الوجوه ، ·· فمنذ عرف المصريون السودان ، لم يدخروا وسعا فى نشر الحضارة المصرية فى تلك البلاد ، والتى مازالت شواهدها قائمة حتى اليوم ، تتمثل فى المعابد التى تحمل طابع العمارة المصرية مثل معبد (بوهين) بالغرب من وادى حلفا الى أقصى الجنوب من جبل برقال (١) ·

---

(1) Fabunmi, L. A. : The Sudan in Anglo-Egyptian relations. pp. 22-23.

وكان ما يحدث فى مصر ، ينعكس بصورة أو بأخرى على السودان، فعندما بدأت مصر فى الاضمحلال منذ القرن العاشر قبل الميلاد ، ومن ثم لم تتمكن من بسط ادارتها على السودان ·· انتهز السودانيون هذه الفرصة واستقلوا عنها ·· وصاروا ملوكا على النوبة ، وزادت سلطتهم بالتدريج ، الى حد أن اعتبروا أنفسهم مسئولين عن البلاد الممتدة من البحر المتوسط الى وسط السودان (١) ·

وظلت العلاقات مستمرة بين البلدين ، يؤثر كل منهما فى الآخر ، ويتأثر بما يجرى فيه ·· لذلك عندما انتشرت المسيحية فى مصر ، انتقلت منها الديانة الجديدة الى السودان ، وتحولت البلاد من الوثنية الى المسيحية فى أواسط القرن السادس الميلادى (٢) ·· وعندما امتد الاسلام الى مصر ، انتقل منها الى السودان أيضا (٣) · ومن ثم انتشر الاسلام بين السودانيين (٤) ، مسيحيين ووثنيين (٥) ·

وعلى ذلك تكونت منذ القرن السادس عشر ، ممالك وسلطنات اسلامية ، مثل سلطنة الفونج التى قامت فى سنار فى عام ١٥٠٤ ، واستمرت نحو ثلاثة قرون ، حتى تم فتحها فى عهد محمد على ، فقد وصلت فى أواخر عهدها الى حالة يرثى لها من الضعف والتفكك ، مما جعلها سهلة المنال للجيش المصرى الفاتح فى عام ١٨٢١ (٦) وسلطنة الفور فى دار فور ، التى كانت على علاقات وثيقة مع مصر ، وكان لها نشاط تجارى لا بأس به معها (٧) ، بالاضافة الى أن سلاطين دارفور كانوا يشجعون الطلاب للسفر الى القاهرة ، للتزود بالعلوم الدينية فى الأزهر الشريف ، وصار لهم مقر معروف باسم رواق دارفور (٨) ·

---

(١) Henderson, K. D. D. : The Making of the Modern Sudan. p. 481.

(٢) د . مكى شبيكه : تاريخ شعوب وادى النيل (مصر والسودان) ص ١٥٠ .

(٣) د . حسن أحمد محمود : الاسلام والثقافة العربية فى افريقيا جـ ١ ص ٣١١

(٤) Trimingham. : Islam in the Sudan. pp. 60-61.

(٥) د . شوقى الجمل : تاريخ سودان وادى النيل جـ ١ ص ١٩٩

(٦) د . نعوم شقير : تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته جـ ٢ ص ٩٩

(٧) نسيم مقار : أحوال السودان الاقتصادية قبيل الفتح المصرى الأول (١٨٢٠/١٨٢١) رسالة ماجستير غير منشورة ـ جامعة القاهرة سنة ١٩٥٧ ·

(٨) د· حسن أحمد محمود : مرجع سابق ص ٣٥٨ ـ ٣٦١

وفى غرب النيل جنوب كردفان ، قامت مملكة اسـلامية تعرف بمملكة (تقلى) فى منطقة جبال النوبا والسهول المحيطة بها منذ أواسط القـرن السادس عشر (١) · وكانت على علاقات مع مصر ، حيث توافد أبناؤها على الأزهر الشريف لتلقى العلوم الدينية ، وكانت ترسل الى مصر كمية من الذهب والرقيق (٢) ·

علاوة على تلك السلطنات السابق الاشارة اليها ، والتى كانت على علاقات لا بأس بهـا مع مصر ·· كانت توجد فى الأجزاء الأخرى من السودان ، سلطنات اما قبلية أو عصبيات أخرى ، تمكنت من أن تخضع لسيادتها السكان والقبائل فى مناطق محددة ، مثل حكوفة الكشـاف الأتراك فى اقليم النوبة من أسوان حتى وادى حلفا ، وخضعت سواكن ومصوع على البحر الأحمر للدولة العثمانية وكانت تلك الجهـات على علاقات أيضا مع مصر من النواحى التجارية والثقافية ·

أما جنوب السودان وأعالى النيل ، فكانت فيه قبائل زنجية عاشت على الفطرة وان كانت تحددت فى نظام ملـكى متوارث ، كما نراه عند الشلك والدنكا والبارى والنوير (٣) ·

ولعل تلك الممالك الزنجية كانت على علاقات اقتصادية ، بصورة أو بأخرى ، مع الممالك والسلنطات السـودانية المجـاورة لها ،والتى انعكست على العلاقات بينها وبين مصر (٤) ·

هذه هى ملامح الصورة العـامة للعلاقات التى كانت بين مصر والسودان من ناحية ، والوضع الذى كان عليه السودان ، قبيل الفتح وامتداد التنظيمات المصرية الحديثة اليه من ناحية أخرى ، والتى لم من المستطاع نشر تلك التنظيمات فى بلد كالسودان وهو على تلك الصورة الا بواسطة الفتح المسلح فى ذلك الوقت ·

---

(١) د . عبد المجيد عابدين : تاريخ الثقافة العربية فى السودان ص ٤٠

(٢) Petherick, J. Travels in Central Africa. Vol. 11. p. 7.

(٣) د . شوقى الجمل : مرجع سابق جـ ١ ص ٣٢٨

(٤) ولعـل أهم تلك العـلاقات ، كانت اقتصـادية فى الدرجة الاولى ، تتمثل فى الرقيق والعاج ، ثم الحاصلات الافريقية الاخـرى ، ثم علاقات ثقافيـة ، وان كانت بشكل محدود ، تتمثل فى تسرب الاسلام بطريقة أو بأخرى بين تلك الممالك الزنجيـة الوثنية .

تغلغل تجارة الرقيق فى السودان قبيل الفتح المصرى (١٨٢٠/١٨٢١)

ان مسألة الرق والتجارة فى الرقيق ، من المسائل التي لها جذور ضاربة فى أعماق المجتمعات البشرية ٠٠ سواء أكانت تلك المجتمعات في افريقيا وآسـيا أو فى أوربا ثم بعد ذلك فى الأمريكتين ٠٠ فكثير من الأعمال التى تقوم بها الآن الآلات الصناعية والمكينة الزراعية ، كان يقوم بها الرقيق فيما مضى ، وكان لها أهميتها فى اقتصاديات تلك المجتمعات، ولذا كان الرق مصدر القوى العاملة فى كل مجال (١) ٠

وبالنسبة للسودان ، فقد عرف نظام الرق ـ كغيره من بلاد الشرق ـ منذ زمن بعيد ، وكان ركنا أساسيا من اقتصادياته ، بل وحجر الزاوية فى بنائه (٢) ويشتط الأستاذ (هيل) ويقول أن اقتصـاديات المجتمع السودانى كانت تقوم أساسا على الرق (٣) ٠٠ كما أنه ـ أى الرق ـ أثر بصورة واضحة فى حياة السودانيين أنفسـهم من النواحى الاجتماعية والسياسية ٠

وقد ازدهرت تجارة الرقيق فى السودان منذ القرن السادس عشر فى ظل حكم سلطنتى الفونج ودارفور (٤) ٠٠ والمشيخات شبه المستقلة فى قرى شندى والمتمة وفازوغلى وغيرها (٥) ٠ اذ صار الأرقاء جزءا من العشـور والجزية التى يدفعها الحـكام والمشايخ لكبار الرؤساء والسلاطين (٦) ٠

فقد كان الرقيق من الأمور العادية ، والمعترف بها فى السودان ، ولا غبار اطلاقا على استخدامه وممارسة التجارة فيه ٠٠ وكانت له أسواق معروفة ومشهورة فى سوبة وبربر وشندى وسـواكن وسنار وكوبى

---

(١) د . محمد البهى : الاسلام والرق ص ٧ .

وكان الأرقاء (البيض) يسمون مماليك ، والأرقاء (السود) يسمون عبيـدا ، وكان الخدم ينقسمون الى ثلاثة اقسام وهم : الأرقاء .. والخصيان .. والجوارى .

(٢) الشاطر بصيلى عبد الجليل : معالم تاريخ سودان وادى النيـل من القرن العاشر الى القرن التاسع عشر الميلادى ص ١٥٠ .

(٣) Hill, Richard. :Egypt in the Sudan. p. 102.

(٤) د . مكى شبيكة : تاريخ شعوب وادى النيل (مصر والسودان) ص ٣١٨ .

(٥) د. محمد فؤاد شكرى : الحكم المصرى فى السودان (١٨٢٠ ـ ١٨٨٥) ص ١٥٦

(٦) Browne, W. G. : Travels in Africa and Syria from the year (1792 to 1798). p. 277.

والفاشر وغيرها ، يبتاع فيها الرقيق ، ويصدر منها الى الأسواق المصرية في القاهرة والاسكندرية واسنا وفرشوط وأسيوط (١) ٠

وكانت أسيوط بصفة خاصة ، من أكبر وأعظم أســـواق تجارة الرقيق في مصر ، وظلت مفتوحة الى عهد (محمد علي) ، اذ كانت تأتي اليها القوافل من دارفور وسنار كل عام ، ومعها ألوف من العبيد لتموين الأسواق المصرية ، وسد احتياجات أسواق الولايات العثمانية الأخرى في الشام وتركيا وشمال افريقيا ٠

وكانت أهم جهة يجمع منها العبيد الذين تأتي بهم قوافل دارفور ، هي واحات (الفرتيت) ويجمع العبيد الذين تأتي بهم قوافل سنار من الواحات المختلفة ، كواحات (الشـــلك) و (تقلي) ، كما كان يؤتى بأخرين من العبيد من (الحفير) و (بندا) (٢) ٠

وكان السلاطين والحكام في السودان ، يقومون بالغزوات بأنفسهم أو يعهدون بها الى من يقوم مقامهم ، لجلب الرقيق من الأماكن المجاورة لهم ، ثم يقومون بعرضهم في الأسواق لبيعهم الى تجار الرقيق (٣) ٠

وكانت عمليتا البيع والشراء ، من الأمور العـــادية ، ولها تجارها المعروفون من السودانيين وغيرهم ــ سواء كانوا من مصر أو من أزمير أو من شمال افريقيا ــ وتجرى عملية الشراء في الرقيق كأى سلعة أخرى مطروحة للبيع في الأسواق (٤) ٠

ويلاحظ أن ما كان يصل الى مصر وبلاد العرب من الرقيق الأسود (العبيد) لا يشكل الا نسبة صغيرة بالنسبة لما يحتفظ به السودانيون أنفسهم ، للقيام بأعمال الزراعة ورعى الماشية والخدمة في المنازل (٥) ٠

---

(١) بوركهارت (جون لويس) : رحلات بوركهارت في بلاد النـوبة والســودان ، (تعريب فؤاد أندراوس) ص ٢٥٣ ٠

(٢) من تقرير بورنج : ترجمة د ٠ محمد فؤاد شكرى وآخرين : بناء دولة مصر محمد علي ص ٥٤٤

وقد حضر الدكتور بورنج الى مصر في عام ١٨٣٧ وكتب تقريره المشهور عن مصر وكريت ، وحاول الباحث الحصول على النسخة الأصلية ، ولم يتمكن ، لذلك اعتمد على الترجمة الواردة في الكتاب المذكور ٠

(٣) د ٠ نعوم شقير : تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته جـ ٢ ص ١٤٦

(٤) بوركهارت : مرجع سابق ص ٢٥٤

(٥) بوركهارت : مرجع سابق ص ٢٦٦

وكان الفائض من الرقيق عن الحاجة ، يعرض للبيع اما بالنقد ، أو بمبادلته بالمعادن والأقمشة والخرز وغيرها (١) ٠

وعلى هذا كان الرقيق أساسا من أسس الحياة الاقتصـــادية فى السودان ، ونظاما معترفا به فى المجتمع هناك ، ولا استنكار فى الحصول عليه ــ بطريقة أو بأخرى ــ وكان التجار يميزون بين عدة أنواع من الرقيق ، فاذا ما تناولنا أحد أسواق الرقيق المشهورة فى السودان ، وليكن سوق سنار كمثال على ذلك ، لوجدنا أن العبيد المجلوبين الى هذا السوق ، كانوا يقسمون حسب أعمارهم الى ثلاث فئات هى :

الخماسى : وهم دون العاشرة أو الحادية عشرة

السداسى : وهم فوق الحادية عشرة ودون الرابعة أو الخامسة عشرة

والبالغ : ويكون عمره من الخامسة عشرة فأكثر ٠

وكان أغلى هؤلاء العبيد عندهم من حيث الثمن هم السداسى (٢) ٠

وكان الجلابة يحرصون حين يبتاعون العبيد على التأكد من جنسهم فقد تعلموا بالتجربة ، أن أفراد الجنس الواحد ، لا يختلفون من حيث الطبع الا قليلا ، فعبيد (نوبا) المجلوبين من سنار كانت طباعهم دمثه ، ويأتون فى المرتبـــة بعد عبيد الحبش ٠٠ وأغلى الزنوج الغربيين عند الجلابة ، كان أهل (بندا) ٠٠ ويليهم العبيد الذين يجلبون الى دارفور من (برقو) ، ويقـــول الرحالة بوركهارت ، أن العبيد المجلوبين من (فرتيت) متوحشون ومحبون للثأر والانتقام ، ومن أكثر أنواع العبيد غلظة وفظاظة (٣) ٠

ويلاحظ أن التجارة فى الرقيق ، لم تكن قاصرة على الجلابين والتجار فقط ، بل كانت الحكومات فى الممالك والسلطنات ، تباشر نشاطا ملموسا فى هذه العملية ، لأنها ــ كما ذكرنا ــ كانت تمثل العمود الفقرى فى ثروة البلاد ٠٠ فكانت سلطنة الفور التى تعتبر مستودعا كبيرا للرق ، والذى كان يأتى لها عن طريق الغزوات والجلابة ، من المناطق المحـــاورة لها ، تمارس عملية التجارة فى الرقيق ، بجانب اســـتخدامه فى شتى

---

(١) Gray, Richard. : A History in the Southern Sudan. pp. 3-5.

(٢) بوركهارت : مرجع سابق ص ٢٥٢

(٣) بوركهارت : مرجع سابق ص ٢٥٥

المجالات ، حتى أن جيش السلطان نفسه كان مكونا من الرقيق المجلوب (١) ٠

وكان السلطان (سليمان صولون ١٦٤٠/١٦٧٠) يرسل بنفسه فى كل سنة محملا وصرة الى مكةالمكرمة عن طريق مصر ، مع كمية من الريش والصمغ وأعداد من الرقيق تباع فى مصر بواسطة وكيله (المعلم شنوده) من أسيوط (٢) ٠

هذا وقد قدر المعدل السنوى للرقيق الذى كانت تجلبه القوافل من دارفور ، ما بين خمسة وستة آلاف نسمة ، كان من بينهم فتيات يتخذن كحريم وخادمات يخدمن فى المنازل (٣) ٠

كذلك كان الرقيق من أهم السلع التى تصدر من مملكة الفونج (٤) ٠ فقد كانت سنار تصدر قبل أن توجه الحملات المصرية لفتح السودان ، ألفا وخمسمائة نسمة فى السنة الى الأسواق المصرية (٥) ٠

وكان سوق (دنقلة) يكتظ بالعبيد فى شهرى مايو ويونيو وكذلك فى شهرى أكتوبر ونوفمبر من كل سنة ، ومن (دنقلة) تسير القوافل قادمة من بلاد الفونج الى الأسواق المصرية لبيعه فيها أو تصديره الى الخارج ٠ وكانت (بربر) ملتقى تجار الرقيق القادمين من سنار ، والتجارة فيها رائجة ، وكان الغلام يباع فيها بمبلغ أربعة جنيهات ونصف، والفتاة بمبلغ خمسة الى ستة جنيهات انجليزية ٠٠ أما قوافل (كردفان) التى تعبر الصحراء الى (الدبه) فكانت تبدأ رحيلها فى فصل الخريف،

---

(١) د . شوقى الجمل : تاريخ سودان وادى النيل ج ١ ص ٣٢٣

(٢) د . زاهر رياض : مصر وافريقيا ص ١٢٠

(٣) Cray, R. : op. cit., pp. 3-5.

(٤) كانت تسمى مملكة الفونج أو مملكة الفونج الزرقاء أو مملكة سنار أو سلطنة سنار وقد تضاربت الآراء حول أصل الفونج ، الى حد أنهم نسبوا الى الشلك ، وهذا الرأى غير صحيح على الاطلاق ، لأن سلطنة الفونج تنطق بالعربية وتدين بالاسلام بينما نجد الشلك وثنيين ولهم لهجات افريقية .

للمزيد فى هذا الموضوع انظر : Crawford, O. G.S. :
The Kingdom of Sennar, pp. 100-102.

وكذلك د. نعوم شقير : تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافية وغيرهما

(٥) Gray, R. : op. cit., pp. 3-5.

وذلك بسبب حاجتها الى مياه الأمطار الموسمية التى تتساقط فى تلك الفترة من السنة (١) ٠

وعلى هذا يتضح مما سبق ، أن الرقيق كان فى السودان من الأمور المألوفة ، ومن العادات المتأصلة فى المجتمع ، وأن نظامه من المسائل المتوارثة عن الآباء والأجداد ٠

فمن النادر مثلا أن نجد فى بربر أو شندى أو غيرهما من قرى السودان ، منزلا واحدا لا يقتنى واحدا أو اثنين من العبيد السود ، وهناك من يقتنى خمسة أو ستة يفلحون الأرض ويرعون الماشية ، ونجد النظام نفسه متبعا فى أعالى النيل حتى سنار ٠٠ وفى الغرب نجد قبائل البقارة فى كردفان تعيش فى مناطق السافانا مع قطعانهم الكبيرة من الماشية وعبيدهم من الرقيق (٢) ٠٠ وكذلك الحال فى دارفور ، بل كان ذلك النظام متبعا لدى قبائل البدو المحيطة بهذه الجهات ، فنرى تلك القبائل تقتنى العدد الكبير من الرقيق للأغراض السابق ذكرها (٣) ٠

تجنيد الرقيق فى الجيش المصرى الحديث :

لعل ما كان يحدث فى مصر ، كان ينعكس بصورة أو بأخرى على السودان ، لذلك ، فالوضع الذى كانت عليه مصر قبل أن يحكمها (محمد على) فى عام ١٨٠٥ ، كان شبيها بالوضع الذى كان عليه السودان (٤) ٠ خاصة بعد أن لجأ اليه الأمراء المماليك الذين تمكنوا من

---

(١) من تقرير بورنج : مرجع سابق ص ٥٥٥ ـ ٥٥٦

(٢) Gray, R. : op. cit., pp. 1-2.

(٣) بوركهارت : مرجع سابق ص ٢٦٦

(٤) عاشت مصر فى اواخر عهد الدولة المملوكية فترة من الفوضى والاضطراب ، بسبب تنافس البيكوات المماليك وتشاحنهم مع الاتراك ، مما جعل البلاد سهلة المنال للحملة الفرنسية فى عام ١٧٩٨ ، وبعد اجلاء تلك الحملة عن البلاد فى عام ١٨٠١ ، تعرضت مصر لصراع حاد ومرير ، ممثلا فى بقايا المماليك والالبان والاتراك ، ومن ثم عاشت مصر فترة من الممكن أن نطلق عليها بفترة التخبط السياسى ، الذى ادى بدوره الى شدة تطلع القوى الاوربية ، خاصة بريطانيا ـ التى تفتحت عيونها الى مصر منذ قدوم الحملة الفرنسية ـ حتى تمكن الشعب المصرى عن طريق الزعامة الشعبية ورجال الدين من مساعدة (محمد على) والوقوف بجواره ، فخرج بالبلاد الى بر الامان ، ومن ثم أخذ يعد العدة لبناء دولة مصر الحديثة .

أما السودان ، فكان يعيش هو الآخر فى تفكك من حيث وضعه السياسى ، فقد كان مقسما الى عدة ممالك وسلطنات متشاحنة ، بل ان السلطنة الواحدة كانت ممزقة

الفرار الى الجنوب بعد مذبحة القلعة فى سنة ١٨١١ ومذبحة اسنا فى سنة ١٨١٢ وكونوا لهم ما يشبه الامارة فى (دنقلة) ورحل جماعة منهم الى كردفان وسنار ، وأخذوا يغيرون على الأهالى ، ويكونون الجنود من الرقيق الأسود ، ويقطعون طرق القوافل (١) ومن ثم صاروا مصدر قلق وتهديد ضد محمد على نفسه (٢) ٠

على أية حال ، كان محمد على يخطط منذ اللحظة الأولى عند توليته الحكم فى مصر لبناء دولة قوية ذات عز ومنعة (٣) ٠ وأن ينهض بالبلاد فى مختلف المجالات الزراعية والصناعية والعمرانية ، واقامة نظام شبيه بنظام الحكومات الأوربية (٤) ٠٠ الأمر الذى جعـــل البعض يردد أن (محمد على) كانت تسول له نفسه بتوسيع رقعة البلاد بالاستيلاء على أملاك الدولة العثمانية نفسها (٥) ٠

وكان هذا الأمر يتطلب منه تكوين جيش منظم وقائم على الأسانيب

بدورها الى عدة مشيخات وزعامات متنافسة ، كمـا كان حادثا فى دولة الفـونج على سبيل المثال ، الامر الذى جعل الذين زاروا السودان قبيل الفتح المصرى يرددون أن البلاد مهيأة للتدخل الاجنبى ، بسبب الفوضى التى كانت تسود المجتمع ، بالاضافة الى تطلع الاحبـاش الى بعض مقاطعات ســـنار المتاخمة لهم د٠ الســـيد رجب حراز : المدخل الى تاريخ مصر الحديث ص ٢٤٩ ٠

لذلك دعا البعض الى ضرورة أن تتقدم مصر الى وضع يدها على السودان قبـل أن يسبقها غيرها الى تلك البلاد ٠

د ٠ نسيم مقار : الرحالة فى السودان فى النصف الاول من القرن التاسع عشر (الرحالة برلن روليه) ص ٣٣ ــ ٣٥

وحيث أن مصر قد أنقذت فى ذلك الوقت من التيارات السياسـية المتصارعة التى كادت أن تعصف بهـــا ، فكان الســـودان هو الآخر فى حاجة الى من ينقذه من التفكك والوضع المتردى الذى وصل اليه ويعمل على وحدته فى ظل نظام حكومة موحدة وقوية ٠

(١) Waddington, George, : Tawrnal of a visit to some parts of Ethiopia, p. 254.

(٢) د ٠ الســـد رجب حراز : مرجع سابق ص ٢٤٩ ــ ٢٥٠

(٣) د ٠ مكى شبيكة : السودان فى قرن ص ١٢

(٤) د٠ راشد البراوى : مجموعة الوثائق السياسية ، المركز الدولى لمصر والسودان وقناة السويس ص ٩ ــ ١٠

(٥) Dodwell, H. : The Founder of Modern Egypt, A Study of Mohamed Ali, p. 50.

الأوربية لتأسيس الدولة الحديثة ، ولحمايتها والدفاع عنه من الأطماع الأجنبية (١) ٠

لذلك بعد أن تخلص من منافسيه فى الداخل بما فيهم قوة العلماء ورجال الدين التى أوصلته الى الحكم ٠٠ وبعد أن انتصر على الوهابيين فى شبه الجزيرة العربية ، ومن ثم انتقل اليه الاشراف على مناطق البحر الأحمر وسواكن ومصوع (٢) ٠٠ كانت فكرة فتح السودان قد نضجت واكتملت ، ومن ثم أملت الضرورة عليه فى ذلك الوقت بتنفيذها (٣) ٠

---

(١) يلاحظ أن محمد على حاول فى بادىء الأمر تطبيق النظم الحديثة على جنده من الالبان ولكنهم رفضوا ذلك النظام وثاروا عليه فى عام ١٨١٥ ، وكان هدفه تكوين عناصر القيادة ـ أى الضباط المدربين ـ ليقوموا بدورهم بتدريب الجيش الجديد ، واستعان فى هذه العملية بالضابط الفرنسى (سيف) ، « سليمان باشا الفرنساوى فيما بعد » لتكوين نواة من الضباط والمعلمين العسكريين للجيش النظامى الحديث .

د . عبد الرحمن زكى : أعلام الجيش والبحرية فى مصر فى القرن التاسع عشر ج ص ٣٥ ـ ٣٧

(٢) د . شوقى الجمل : تاريخ سودان وادى النيل ج ٢ ص ١٩ ـ ٢٠

(٣) يلاحظ ان حروب محمد على فى السودان تختلف عن حروبه الاخرى فى شبه الجزيرة العربية وفى اليونان ، فلم يطلب منه السلطان العثمانى تجريد الجيش لاخماد ثورة أو تمرد فى السودان ، كما حدث مثلا فى شبه الجزيرة العربية ، وانما استأذن محمد على نفسه من السلطان فى فتح السودان ، على اعتبار أن للسلطان صفوفا فى السيادة منذ القرن السادس عشر ، ليس على ولاية السودان فحسب ، بل وعلى ما أطلق العثمانيون عليه ايالة الحبشة أو الجيش التابعة لباشوية جدة أو الحجاز، ووافق السلطان محمود الثانى على أن يفتح محمد على ما يشاء من قاليم السودان ، على أن يكون ذلك باسم السلطان العثمانى .

د . السيد رجب حراز : مرجع سابق ، ص ٢٥٠ ـ ٢٥١ ،

و د . عبد الرحمن زكى : التاريخ الحربى لعصر محمد على ، ص ٩٥ ٠)

ويشير الدكتور شوقى الجمل ، الى أنه لم يعثر فى وثائق عابدين على وثيقة واحدة تؤيد أن محمد على طلب موافقة السلطان واذنه فى فتح السودان ، وانه لا يدرى ، هل يوجد فى الارشيف التركى وثيقة بهذا الخصوص أم لا ؟

(د . شوقى الجمل : مرجع سابق ، ص ٢ ، ص ٢٣ ٠)

والواقع رغم ان الباحث لم يعثر هو الآخر ، على وثيقة تؤيد ذلك ، الا انه يرى ان محمد على لم يكن حتى ذلك الوقت (١٨٢٠) قد افصح عن نيته الدفينة فى اقتطاع بعض أملاك الدولة العثمانية لضمها الى مصر، بل كان لايزال يظهر الولاء للسلطان ٠٠ ومن ناحية أخرى كان يهم الدولة العثمانية الا تقوم للمماليك قوة فى السودان ، خاصة بعد تطلعهم الى الوهابيين للتحالف معهم ، أو تحالفهم ـ أى المماليك ـ وهم أصدقاء الانجليز بالامس ـ مع الاحباش .. لذلك نرى أن ثمة اتصالات تمت بين محمد على والسلطان ، وان الدولة العثمانية باركت هذا الفتح .

ورغم كثرة الآراء التي أثيرت حـــول دوافع الفتح ، فان الوثائق الرسمية تشير الى أن الحصول على الرقيق كان من بين الأسباب التى دفعت محمد على لذلك ، حتى يتمـكن من تجنيدهم فى الجيش المصرى الجديد ، والاستفادة من بعضهم فى مشروعاته الاقتصـــادية والعمرانية المزمع تنفيذها ..

ولكن الحصول على الرقيق فى الواقع لم يكن هو الدافع الأول لعملية الفتح ، كما يشير الى ذلك بعض المؤرخين (١) .. فقد كان فى امكان محمد على أن يكون جيشـــا منظما من المصريين وبه عناصر من الرقيق الأسود ، وذلك عن طريق الشراء من ســـلطنة دارفور ، أو من سلاطين وزعماء سلطنة الفونج ، أو من التجار وأصـــحاب القوافل الذين كانوا يصدرون العديد من الرقيق الى الأسواق المصرية والمغربية والشـــامية والتركية وغيرها ، فقد بلغت تجارة الرقيق أوجها فى السودان قبيل الفتح المصرى ، وعظم نشاط الجلابة والنخاسين ، وازدهرت أســـواق الرق بفعل الاضطراب الذى كان يسود البلاد ، وبفعل الركود الذى أصاب التجارة فى السلع الأخرى ، سواء كانت تلك التجارة تأتى عن طريق الوارد اليها من الحبشة أو الجهات المجاورة (٢) .

هذا وقد كان محمد على هو نفسه من بين الجنود الألبانيين ، وعاصر جيوش الدولة العثمانية ، التى كانت تتكون من عناصر مختلفة ، وتحرز النصر فى ميادين كثيرة لحساب الدولة ، كما أن جيشه ـ أى محمد على ـ الذى أرسله لاخماد الحركة الوهابية فى عام ١٨١١ ـ استجابة لطلب

---

(١) د . حسن أحمد ابراهيم : محمد على فى السودان ص ٢٤

ويذكر جورج يانج ان محمد على فتح السودان للحصول على المعادن الثمينة التى سمع عنها هناك

(جورج يانج : تاريخ مصر من عهد المماليك الى نهاية حكم اسماعيل (تعريب على أحمد شكرى) ص ١١٣)

ويقول دودويل ان الحصول على الرقيق والبحث عن المعادن كانا من أهم أسباب الفتح

Dodwell, H. : op. cit., p. 50.

ويقول الدكتور شوقى الجمل ، ان من أهم أسباب الفتح هو تأمين مصر نفسها من الجنوب وتنشيط التجارة فى البحر الاحمر واعادتها الى ما كانت عليه سابقا فى عهد المماليك .

(د . شوقى الجمل : مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٢٠ ـ ٢١

ويرى آخرون ان من بين أسباب الفتح ، تكوين وحدة سياسية من وادى النيل، الى غير ذلك من الاسباب ، بهدف الصالح المشترك لمصر والسودان .

(٢) د . محمد فؤاد شكرى : مرجع سابق ص ١٠

السلطان ـ كان من ذلك النوع ، أى من الباشبوزق (المرتزقة) وتمكن ذلك الجيش من القضاء على تلك الحركة ، وتوسع فى شبه الجزيرة العربية ، حتى أطلت القوات على الخليج العربى وفتحت اليمن (١) ٠

ولكن نظرا لسعة أفق محمد على ، فانه كان يدرك مدى امكانية الافادة من الجيش النظامى ، فقد وقف ـ وهو رجل عسكرى ـ على أهمية الجيوش المنظمة ، التى أخذت بها أوربا بعد الثورة الفرنسية ، ولم يكن بعيدا كذلك عن أخبار قوات الحملة الفرنسية على مصر فى عام ١٧٩٨ ٠

لكل هذا ، رغب فى أن تكون الافادة كاملة من جيشه المنتظر تكوينه ، وأن يتحاشى ما كان يحدث من تذمر وصراعات بين الجنود المرتزقة ، وهجومهم من حين لآخر على القواد ، طالما أنه عقد العزم على تكوين دولة حديثة ، على غرار الدول الأوربية نفسها (٢) ٠

ومن ناحية أخرى ، فانه سمع الكثير عن قوة واحتمال وصبر وطاعة الجند السودانيين ، فقد اشتهروا منذ أيام الفراعنة بصلاحيتهم للجندية وشدة بأسهم فى الحروب (٣) ٠٠ وأنه من الممكن استقدام الكثير من السود لتكوين الجيش الجديد (٤) لأن هناك فى جنوب السودان يوجد مستودع لا يفرغ من الزنوج الأفارقة الذين يمكن أن يمدوه بحاجته للعمل فى الجيش بل وفى الزراعة والصناعة (٥) ٠٠ وذلك بأقل تكلفة ممكنة ، مراعاة لظروف الخزينة المصرية حينذاك ٠٠ فكان عليه بجانب الانفاق على الحملات العسكرية والمشروعات الأخرى ، أن يدفع الجزية للسلطان العثمانى ، والهدايا والهبات للمسئولين فى الاستانة ٠

يضاف الى ذلك ، أن مصر نفسها شهدت فى أواخر عهد المماليك، فترة من الاضطرابات الداخلية ، بسبب تنافس الأمراء المماليك على كراسى الحكم وما أعقب ذلك من مواجهة الشعب المصرى للحملة الفرنسية (٦) ٠

وترتب على ذلك ، أن فقد الشعب المصرى الكثير من أبنائه ، ومن ثم

---

(١) د . السيد رجب حراز : مرجع سابق ، ص ٢٣٦ ـ ٢٤٨ ٠

(٢) د . راشد البراوى : مرجع سابق ، ص ٩ ـ ١٠ ٠

(٣) د . السيد رجب حراز : مرجع سابق ، ص ٢٥٠ ٠

(٤) عبد الرحمن الرافعى : عصر محمد على ، ص ١٦٩ ٠

(٥) Hill, R. : Egypt in the Sudan, p. 2.

(٦) كرستوفر هيرولد «ج» : بونابرت فى مصر (تعريب فؤاد اندراوس) ص ٢٦٠

حدثت خلخلة في المعمور السكانى ، ترتب عليها بوار الأرض وكساد الصناعة المحلية (١) .

ويبدو أن هذه العوامل مجتمعة ، مع الأخذ بعين الاعتبار الموقف الذى كانت عليه الدولة العثمانية فى ذلك الوقت ، ومواقف الدول الأوربيه منها ، وجدت هوى فى نفس محمد على ، ومن ثم تشـــجع على الاقدام لتنفيذ فكرة تجنيد السودانيين فى الجيش الحديث ، وأن يترك الفلاح المصرى للعمل فى مشروعات التنمية والتعمير .

ويلاحظ أن فكرة تجنيد السودانيين ـ بصفة عامة ـ فى الجيش المصرى ، ليست جديدة ، فكما ذكرنا ، ان الروابط بين البلدين ، كانت تشجع حكام مصر على ضرورة النظر الى السودان .. لذلك كان بعض هؤلاء الحكام ، يستقدمون أبناء الجنوب لتجنيدهم فى الجيوش ، فقد بلغ عدد من استقدم من السودان وانخرط فى الجيش أربعين ألفا فى عهد أحمد بن طولون (٢) ، كذلك انتظم أبناء السودان فى جيش الاخشيديين خاصة فى عهد كافور (٣) ، ووصل عددهم حوالى خمسين ألفا فى عهد الفاطميين ، فقد كانت والدة المستنصر بالله ـ وهى سودانية الأصل ـ تشجعه على استقدام السودانيين وتجنيدهم فى الجيش (٤) لبسالتهم ، وتحملهم المشاق وطاعتهم للرؤساء .

ونظرا لشهرة الجندى السودانى والصفات الحميدة التى كان يتميز بها ، أغرت الجنرال نابليون بونابرت ، فأرسل ـ أثناء تواجد الحملة الفرنسية فى مصر الى الســـــلطان (عبد الرحمن الرشيد) سلطان دارفور (٥) ، يطلب منه ارسال ألفين من الرقيق الأشداء الذين تجاوزوا الستة عشر من العمر (٦) .

---

(١) د . محمد فؤاد شكرى : مرجع سابق ص ١٥٩ .

(٢) د . مصطفى محمد مسعد : الاسلام والنوبة فى العصور الوسطى ص ١٣٨ .

(٣) عن المقريزى : المواعظ والاعتبار جـ ١ ص ٩٥ .

(٤) د . مصطفى محمد مسعد : المرجع نفسه ص ١٣٩ .

(٥) د . مصطفى محمد مسعد : المرجع نفسه ص ١٣٩ .

(٥) يلاحظ ان السلطان العثمانى والذى أنعم على عبد الرحمن الدارفورى بلقب الرشيد وهذا يدل على حق الســـلطان فى السـيادة على أقاليم الســـودان وتعبير (الرشيد) له مغزاه الكبير فى تاريخ العالم الاسلامى .

د. حسن أحمد محمود : الاسلام والثقافة العربية فى افريقيا جـ١ ص ٣٥٨ـ٣٦١

(٦) د . نعوم شقير : مرجع سابق جـ ٢ ص ١٢٣ .

وكذلك د . محمد فؤاد شكرى : مرجع سابق ص ١٥٨ .

وعلى ذلك ، نرى أن نظرة محمد على الى تجنيد الرقيق فى الجيش الحديث ، ليست جديدة ، واذا كان الحصـــــول عليه من دوافع فتح السودان ، لاســتجلابه بأقل النفقـــات الممكنة ·· فهذا أمر لا يجب أن يسوقنا ونتهم الفتح فى حد ذاته بأنه نوع من أنواع الاستعمار الحديث ، الذى مارسته الدول الأوربية فى افريقيا وغيرها (١) ·· كما أنه ليس اجراء غريبا أو شائنا ، فكما أحضر محمد على الرقيق الى مصر لتكوين الجيش ، أرسل الفنيين والزراع ، والأنظمة الحديثة الى السودان ·· طالما كانت نيته أن يجعل من البلدين وحدة سياسية واحدة ، يستفيد من مواردها الطبيعية والبشرية للنهوض بهما معا ·

الأوامر الصادرة من محمد على للمسئولين فى السودان لارسال الرقيق :

ذكرنا أن عامل الحصول على الرقيق ، كان من دوافع فتح السودان، وان لم يكن العامل الرئيسى ·· ونحن لا ننكر أن هذا العامل كان له من أهمية خاصة فى نظر محمد على ، لتجنيدهم فى الجيش الذى عقد عليه كل الآمال للوصول الى أهدافه (٢) ·· وقد تطلب منه ذلك أن يكون الجيش منظما ومدربا على أحدث الأساليب العصرية وقتذاك (٣) ·

لذلك كانت مسألة الحصول على الرقيق من المسائل الهامة التى كلف محمد على بها المسئولين فى السودان ·· وتكاد معظم رسائله لحكام السودان لا تخلو من ضرورة جلب العبيد ، لأن ذلك هو غاية المراد ونتيجة المقصود ··

فيقول الى ابنه (اسماعيل باشا) سر عسكر السودان ·· « ان المقصود الأصلى من هذه التكلفات الكثيرة والمتاعب الشاقة ، ليس جمع المال ، كما كتبت اليكم ذلك مرة بعد أخرى ، بل الحصول على عدد كبير من العبيد الذين يصلحون لأعمالنا ويجدرون بقضاء مصالحنا » (٤) ··

ويقول له كذلك ·· « ان الغـــــرض من انتدابكم الى تلك الديار وتعزيزكم بسواد عظيم من الجنود والمهمـــــات واللوازم العديدة ، هو للحصول على العبيد اللازم انتقاؤهم وفق المطلوب وايصالهم الى ثكنات

---

(١) د . شوقى الجمل : مرجع سابق جـ ٢ ص ٧ ·

(٢) د . جلال يحيى : مصر الافريقية والاطماع الاستعمارية فى القرن ١٩ ص ٤٨٠

(٣) Sabry, M. : L'Empire Egyptien sous Mohamed Ali et la question d'Orient (1811-1849) p. 68.

(٤) دفتر ١٠ معيه تركى : ترجمة المكاتبة رقم ٣٢٥ بتاريخ ١٠ ذى القعدة ١٢٣٧ هـ

أسوان ، غير معرضين للضياع والتلف ، وليس فى نيتنا ولا فى نظرنا غاية أعز من هذا الأمل ·· وأن قيمة العبيد الصالحين للعمل عندنا تعادل قيمة الجواهر ، نظرا لمقتضى الوقت والحال ، بل هى أعز من تلك وأجل كما هو بديهى وأظهر » (١) ·

ويكتب لحاكم دنقلة ·· « ان غرضنا الوحيد من انتداب نجلنا اسماعيل باشا الى ديار السودان ، وأيضا ولدنا البيك الدفتردار الى بلاد كردفان بهذه الاستعدادات والتكلفات الكثيرة معززين بكثير من المهمات ، هو الاهتداء الى طريقة جلب العبيد المطلوبين لدينا ، كما أن المقصود من ارسالكم الى دنقلة وارسال محو بك الى بربر ، هو رغبتنا فى اتيان العبيد المجموعين بمساعى المشار اليهما بدون أن يمسهم تلف ووصولهم الى أسوان سالمين » (٢) ·

ويخاطب الدفتردار ·· « لا تكون هذه المسائل والوسائل باعثا على اضاعة الوقت دون ايفاء مهمة جلب العبيد ، أو سببا للبطء والتكاسل فى صرف ما فى الطاقة فى سبيل تحقيق هذه المهمة » (٣) ·

لذا نرى أنه منذ أوائل الفتح ، أرسل اسماعيل باشا سرية قوية الى جبل (تابى) قرب سنار ، بقيادة (قوجه أغا) أسرت ألفا وتسعمائه من الزنوج ما بين ذكور واناث ، واغتنمت السرية من عربان (رفاعة) ، مقدار ألفى جمل وألف رأس من البقر ، وألف وتسعمائة ونيف من الغنم، وقد وزعت الأغنام على الجنود ، وأرسل الزنوج والجمال والبقر الى مصر مع (سليم أغا) فارتاح محمد على لهذا العمل كثيرا » (٤) ·

هذا بينما كانت حملة الفتح الثانية التى يرأسها محمد بك الدفتردار ، لفتح كردفان ، تقوم هى الأخرى بتنفيذ أوامر محمد على ، بخصوص جلب الرقيق ·· فبعد أن تمكن الدفتردار من هزيمة سلطان

---

(١) دفتر ١٠ معيه تركى : ترجمة المكاتبة رقم ٣٤٠ بتاريخ ١٩ ذى القعدة ١٢٣٧ هـ « ٢٨ يوليو ١٨٢٢ م »

(٢) دفتر ١٠ معية تركى : ترجمة المكاتبة رقم ٣٤٢ بتاريخ ١٩ ذى القعدة سنة ١٢٣٧ هـ (٢٨ يوليو ١٨٢٢ م)

(٣) دفتر ١٠ معيه تركى : ترجمة المكاتبة رقم ٣٤٠ بتاريخ ٣ صفر ١٢٣٧هـ (٢٩ أكتوبر ١٨٢١م) .

(٤) دفتر ٦ معيه تركى : ترجمة المكاتبة رقم ٦٤٧ بتاريخ ١٤ ذى القعدة ١٢٣٦ هـ (١٤ يوليو ١٨٢١) .

دارفور (محمد الفضل) عند بلدة (بارة) شمال الأبيض ، وقتل (المقدوم مسلم) حاكم كردفان ، استولت الحملة المصرية على ما كان لدى الحاكم المقتول ، من رقيق وقدره ألف ومائتى عبد وجارية وعلى الفور تم ارسال ثمانمائة منهم الى دنقلة ليرسلوا من هناك الى مصر (١) ٠

وقد طلبت الحملة من الرعايا الساكنين فى اقليم كردفان ، نحو ثلاثة آلاف من العبيد ، وقد عبر محمد على عن ارتياحه لهذا الاجراء ٠٠ وطالب الدفتردار بأن يزيد فى جلب المقادير الكثيرة من العبيد ، ونصح بشد الرحال والتشمير عن سواعد الجد الى مهمة جلب السود ، وارسالهم بالتوالى الى مصر ، وطلب منه ، أن تذهب الحملة العسكرية الى كل صوب بمزيد من الاقدام ، والانقضاض والضرب وأخذ العبيد وارسال الصالحين منهم الى أسوان (٢) ٠

وفى الوقت نفسه طلب محمد على من محمد بك الدفتردار ، ضرورة تنظيم الأمور ، فى اقليم كردفان (٣) ٠ وفعلا شرع الدفتردار فى تنظيم شئون البلاد ، والبحث عن مناجم الذهب والمعادن الأخرى ، والاستمرار فى جمع الرقيق (٤) ٠

وقد بلغ مجموع العبيد الذين أرسلهم الدفتردار الى دنقلة ، ليرسلوا من هناك الى مصر ، فى الفترة من جماد أول ١٢٣٩ حتى شوال ١٢٣٩ ، أربعة آلاف عبد (٥) ٠

ويبدو أن محمد على شعر بأن ابنه (اسماعيل) لا يستطيع ـ لقلة خبرته ـ أن يدير الجهات المفتوحة فى السودان ، وأن يحقق ما هو مطلوب من العبيد ، فأرسل ابنه (ابراهيم باشا) الذى كان وقتذاك واليا

---

(١) دفتر ١٠ معيه تركى : ترجمة المكاتبة رقم ٤٩ بتاريخ ١٥ ربيع أول ١٢٣٧ هـ (١٠ ديسمبر ١٨٢١م) ٠

(٢) دفتر ١٠ معيه تركى : ترجمة المكاتبة رقم ٤٩ بتاريخ ١٥ ربيع أول ١٢٣٧ هـ (١٠ ديسمبر ١٨٢١ م) ٠

ويلاحظ انه بعد أن خضعت كردفان لسلطة محمد على ، لم يحرك سلطان دارفور ساكنا لاسترجاع سلطته على كردفان ، بل آثر التريث حفاظا على سلطنته فى دارفور

(٣) دفتر ١٠ معيه تركى : ترجمة المكاتبة رقم ٢٢ بتاريخ ٣ صفر ١٢٣٧ هـ (٣٠ اكتوبر ١٨٢١م) ٠

(٤) د ٠ محمد فؤاد شكرى : مرجع سابق ص ٢٥ ٠

(٥) دفتر ١٤ معيه تركى : ترجمة المكاتبة رقم ٤٢٤ بتاريخ ١٧ شوال ١٢٣٩ هـ (١٤ يوليو ١٨٢٤م) ٠

على جدة بالحجاز ، وكان السلطان العثماني قد منحها مكافأة له لانتصاره على الوهابيين ٠٠ بجانب ان له خبرة ودراية بشئون الحرب والادارة ، وعينه قائدا عاما للقوات المصرية فى سنار وكردفان ، وأن يتفق مع أخيه اسماعيل فى أفضل الطرق لارسال الغزوات وجلب السـود الصالحين للجندية فى مصر ، وطلب محمد على من اسماعيل أن يستمع لأخيه وأن يطيع أوامره ، فقال له ٠٠ « وابذل كل سعى وجد فى اتباع رأى حضرة ولدنا صاحب العطوفة ابراهيم باشا والى جده ٠٠ خصوصا فى أمر جلب ما هو مأمول جلبه من السودانيين على الوجه المطلوب » (١) ٠

وعندما وصل ابراهيم باشا الى سنار فى ٢٣ أكتوبر سنة ١٨٢١ ، اتفق مع أخيه اسماعيل ، على القيام بحملتين عسكريتين ، احداهما بقيادة ابراهيم وتتجه نحو بلاد الدنكا والنيل الأبيض (٢) ٠ وكان الهدف منها الوصول الى منابعه ـ أى النيل الأبيض ـ والتـأكد من الزعم القائل باتصال هذا النيـل بنهر النيجر ، أو الزحف عن طريق كردفان على دارفور وبورنو ، واختراق الصحراء الغربية الى طرابلس ، ثم العودة منها الى مصر ، هذا بجانب جلب العبيد ، ويتولى اسماعيل قيادة الحملة الثانية ، وتتجه نحو جبال الصعيد ٠٠ وقد أرسل ابراهيم باشا يخبر والده بهذا الاتفاق ، ويأمل حين يتم النجاح ، ارسال حوالى عشرة آلاف من الذكور الصالحين للعسـكرية فورا الى مصر ، على أن يعقب ذلك ارسال ما يتبقى من النساء والصبية ، وطلب محمد على من ابنه ابراهيم عدم المساس فى ذلك الوقت بالعبيد الذين فى سنار (٣) ٠٠ وأن يستمر الغزو لجمع أربعين ألفا من الزنوج ، الا أن ابراهيم لم يكد يصل الى جبل القرنين فى وسط الجزيرة ، حتى فاجأه المرض ، فاضطر الى العودة الى مصر (٤) ٠ مع طبيبه الايطالى ، تاركا القيـادة العليا من جديد لأخيه اسماعيل (٥) بينما واصلت جنوده زحفها نحو بلاد الدنكا الواقعة على بعد مسيرة أربعة عشر يوما على النيل الأبيض ٠

---

(١) دفتر ١٠ معيه تركى : ترجمة المكاتبة رقم ٣٩ ص ٢٥ بتـاريخ ٤ ربيع أول ١٢٣٧ هـ (٢٩ نوفمبر ١٨٢٢) ٠

(٢) د ٠ شوقى الجمل : مرجع سابق جـ ٢ ص ٢٨ ٠

(٣) دفتر ١٠ معيه تركى : ترجمة المكاتبة رقم ٥٦ بتاريخ ٢٣ ربيع أول ١٢٣٧ هـ (١٨ نوفمبر ١٨٢١م ٠

(٤) دفتر ١٠ معيه تركى : ترجمة المكاتبة رقم ١٢٥ بتاريخ ١٤ جماد أول ١٢٣٧هـ ٦ فبراير ١٨٢٢ م) ٠

(٥) د ٠ شوقى الجمل : مرجع سابق جـ ٢ ص ٢٨ ٠

أما اسماعيل باشا فقد سار مع النيل الأزرق حتى بلغ فازوغلى ، ومر بأسطوله من غدير التومت الذى يصـــب فى النيل الأزرق ، حتى وصل الى بلدة سنجه ، ولكنه اضـــطر الى التقهقر وعاد بالجيش الى فازوغلى (١) . ومعه ٤٧٧ عبدا صالحا للجندية (٢) .

فى ذلك الوقت طلب محمد على من حاكم دنقلة التحرك فى منطقة الشلك لكشفها والتوسع فيها عن طريق الغزو لجلب الرقيق ، وذكر له أنه سيرسل اليه عشرين صانعا ماهرا لصناعة عدد من السفن النيلية لتكون تحت تصرف الحملة فى الغزوات (٣) .

هذا ومما زاد فى طلبات محمد على لارســـال الرقيق ، وملاحقته المسئولين فى السودان بضرورة الاسراع فى جلب الأعداد الكثيرة من العبيد الصالحين للجندية ، بوادر العصيان والتمرد فى بلاد اليونان ، ضد الحكم التركى ، ومحاولة الثوار الحصول على استقلال بلادهم (٤) .

حدث ذلك فى وقت كانت فيه الدولة العثمانية ، تعتمد الى حد كبير على القوات المصرية لاخمـــاد الثورات ، والقضـــاء على الحركات الانفصالية ، بعد فشل حكام العراق ودمشق فى اداء مثل تلك الأمور ، كما حدث فى شبه الجزيرة العربية مثلا ..

لذلك يبدو أن محمد على بحسه وذكائه ، تيقن أن السلطان لا بد والحالة هذه ، أن يستنجد به ، ويطلب منه ارسال الجيش المصرى الى بلاد اليونان الثائرة ، فطلب من المسئولين تكثيف الجهود فى تدريب الجنود لمواجهة ذلك الخطر الجديد .. فتشير الوثائق الرسمية ، أنه أمر حكام السودان ، وشدد عليهم ببـــذل كل الهمم لقنص العبيد ، وارسالهم الى أسوان ، ويقول لهم .. ان الاقدام والعناية فى أمر جلب

---

(١) د . فردريك بنولا : مصر والجغرافيا (تعريب أحمد زكى) ص ١٤ .

(٢) د . مكى شبيكة : السودان فى قرن ص ٣١ .

هذا وقد طلب اسماعيل من القاهرة فى فبراير ١٨٢٢ العودة الى مصر ، فأجيب الى طلبه فى اكتوبر ، لكن عندما اندلعت الثورة فى شندى والمتمه ، ذهب لاخضاعها: وبعد ان تمكن من القضاء عليها ، لقى حتفه فى شـــندى فى ينـــاير ١٨٢٣ عن طريق المؤامرة التى دبرها له الملك نمر ملك شندى وآخرون ، وقد انتقم الدفتدار من اهـــل سنار اشد الانتقام .

(٣) إدافتر ١٠ معيه تركى : ترجمة المكاتبة رقم ٢٨٣ بتـــاريخ ٩ شـــوال ١٢٣٧ هـ (٢٩ يونيو ١٨٢٢م) .

(٤) جورج يانج : مرجع سابق (تعريب على أحمد شكرى) ص ١١٦ ــ ١١٧ .

السودانيين المطلوبين بكثرة قد أصبحا ، فى صورة الفرض ، بل لعلهما تجاوزا درجة الوجوب (١) · وأن السلطان العثمانى يطلب المساعدة العسكرية لاخضاع هؤلاء الثوار المتمردين ضد الحكم هناك (٢) ·

ولعل حاجة محمد على الشديدة الى الرقيق ، جعلته يطلب ـ بجانب استمرار عمليات الغزو ـ اجراء تعداد قرى سنار وسكانها وتقسيمها الى أقسام ثلاثة (عالى ووسط وأدنى) وأنه لا مانع من تحصيل ضريبة الفردة من الرقيق على أن يكونوا من الذكور البالغين الصالحين للجندية (٣) ·

والواقع ان محمد على اشترك اشتراكا فعليا فى مساعدة السلطان ، فى قمع الحركات الانفصالية التى كانت تنشب فى الولايات العثمانية ، استجابة لأوامره ، لانه ـ أى محمد على ـ كان حتى ذلك الوقت يطيع كل أوامر الدولة العثمانية ، ريثما يثبت أقدامه على أرض صلبة ، ومن ثم يجاهر بالعداء تمهيدا لتحقيق أغراضه (٤) ·

لذلك ركز كل جهوده فى تكوين الجيش والحصول على أكبر عدد من السود ، رغم أن الجيش المصرى فى ذلك الوقت ، كان لديه القدرة بما تقتضيه الأعمال الحربية والتجربة المشتركة لكبح جماح اليونانيين ، أكثر من الجيش والأسطول العثمانيين اللذين لم ينظما بعد تنظيما تاما (٥) ··

ولكن نظرا لعدم الاعتماد عليهما وكثرة المساعدات التى يطلبها السلطان من آن لآخر ، جعل محمد على يتشدد مع حكام السودان لارسال الرقيق لمواجهة تلك الطلبات (٦) ·

---

(١) دفتر ١٠ معيه تركى : ترجمة المكاتبة رقم ٣٩ بتاريخ ٤ ربيع أول ١٢٣٧ هـ (٢٩ نوفمبر ١٨٢١م) ·

(٢) دفتر ١٠ معيه تركى : ترجمة المكاتبة رقم ٤٠ بتاريخ ٤ ربيع أول ١٢٣٧ هـ (٢٩ نوفمبر ١٨٢١م) ·

(٣) دفتر ١٠ معيه تركى : ترجمة الامر رقم ٢٠٠ بتاريخ ١٥ رجب ١٢٣٧ هـ (٧ ابريل ١٨٢٢م) ·

(٤) بعد هزيمة الاسطول المصرى والتركى فى نوارين (٢٠ أكتوبر ١٨٢٧) وخروج محمد على من المعركة رغم رغبة السلطان ، بدأ محمد على يجاهر بالعداء ضد الدولة العثمانية ، ويعمل على تحقيق أهدافه فى تدعيم دولة مصر الحديثة وتوسيع رقعتها على حساب أملاك الدولة العثمانية فى سوريا ·

(٥) جورج يانج : مرجع سابق (تعريب على احمد شكرى) ص ١١٦ ـ ١١٧ ·

(٦) دفتر ١٠ معيه تركى : ترجمة المكاتبة رقم ٦٤ بتاريخ ٢٣ ربيع أول ١٢٣٧ هـ (١٧ ديسمبر ١٨٢١م) ·

ويلاحظ من الوثائق الرسمية ، أن محمد على كان يستعد استعدادا تاما لخوض غمار الحرب فى اليونان ، فعندما طلب ابراهيم باشا منه ، امدادات مصرية الى الحملة العسكرية بالسودان ، أفاده ، بأن الموقف الدولى متأزم ، فالاسطول المصرى يرابط مع الأسطول العثمانى في البحر المتوسط ، لقيام ثورة فى بلاد اليونان ، وأن السلطان قد يستنجد بمصر من أجل اخماد هذه الثورة وتنظيم شئون جزيرة كريت ، وطلب منه أن يتصرف قادة الحملة بما يتناسب وأعداد الجنود المتوفرة لديهم ، حتى تنتهى هذه الأزمة (١) ٠

ولكن يبدو أن الحالة فى السودان ، كانت هى الأخرى فى حاجة الى امدادات عسكرية ، نظرا لمساحة البلاد الواسعة ، فأرسل محمد على الى ابنه ابراهيم وقال له ٠٠ أن الرؤساء والجنود موجودون والحمد لله . ونرسلهم حسب الاقتضاء ، ولكن المقصود هو الحصول والاستحواز على أولئك السود ، وقال له ، اذا أرسلتم من هناك ـ أى من السودان ـ ثلاثة آلاف أسود متماسك الأعضاء صالح للعمل ، نرسل لكم من هنا ـ أى من مصر ـ ألف جندى فى مقابلهم ، ويضيف بأن أمر العســاكر من جهتنا متوقف على ورود السودانيين ، ويذكره بأن لا يكون ارسال الألف جندى المذكورين مقصورا على مرة واحدة ، بل ممتدا ومتكررا (٢) ٠

وعندما اشتعلت نيران الثورة فى اليونان ، أرسل محمد على الى حاكم كردفان ، يطلب منه المزيد من الرقيق ، لأن الأروام من رعايا الدولة العثمانية فى حالة عصيان ، وأن الحرب مع العجم قد بدأت ، وأضطر ـ أى محمد على ـ الى ارسال ألفى جندى مع خمسة من القواد للمحافظة على جزيرة كريت تحت قيادة (صالح بك) وأخبره بأن (حسن باشا) كان على أهبة الاستعداد على رأس جيش قوامه أربعة أو خمسة آلاف من الجنود لتأديب العصاة فى تلك الجزيرة ٠٠ ولهذا فان الظروف فى مصر لا تسمح بارسال جنود الى السودان ٠٠ ولم يكتف محمد على بذلك . بل طلب ارسال ألف من الرقيق لالحاقهم بمراكز التدريب ، وفى نظير ذلك يرسل الى السودان أربعمائة عسكرى مدرب بدلا منهم (٣) ٠

---

(١) دفتر ٧ معيه تركى : ترجمة الوثيقة رقم ٣٠٠ بتاريخ ١٩ ذى الحجة ١٢٣٦هـ (١٦ سبتمبر ١٨٢١م) ٠

(٢) دفتر ١٠ معيه تركى : ترجمة المكاتبة رقم ٦٤ بتاريخ ٢٣ ربيع أول ١٢٣٧ هـ (١٧ ديسمبر ١٨٢١م) ٠

(٣) دفتر ١٠ معيه تركى : ترجمة المكاتبة رقم ٢١٧ بتاريخ ٢٢ رجب ١٢٣٧ هـ (١٤ ابريل ١٨٢٢م ٠

هذا ولم يتوان محمد على لحظة واحدة فى اســـداء النصح الى المسئولين فى السودان ، فأرسل الى سر العسكر ، يرشده ، بأنه اذا اقتضى موسم الأمطار ·· فالمأمول أن تقوموا باستعدادات قوية ، فتغزو الجهات التى يرجى وجود العبيد فيها ، وتستولوا على كثير منهم ، ويحثه بأن يبذل كل الجهود وألا يتوانى فى القيـام بالغزوات ، لكى يملأ ثكنات أسوان بالرقيق (١) ·

ولم يدخر محمد على وسعا فى توفير كافة مســتلزمات الغزوات المسلحة من ذخيرة وجنود وفرسان ومشاه لجلب السود وارسالهم الى مصر (٢) ·· لأن الضرورة كانت تحتم عليه فى ذلك الوقت أن يزيد من قواته لمواجهة الأخطار المحدقة بالدولة العثمانية من ناحية ، ولتحقيق أحلامه من ناحية أخرى : لذلك لم يتورع عن معاقبة أى مسئول يتهاون فى بذل الجهود لجلب الرقيق وتوفير مستلزمات الراحة لهم (٣) ·

وكانت الغزوات تتم بطريقة منظمة ، حتى يمكن أن تأتى بالنتائج المرجوة منها ، ففى شهرى سبتمبر وأكتوبر من كل عام ، كانت ترسل حملتان أو ثلاث حملات الى جهات مختلفة من أقاليم السودان ، حيث كان الجنود المرابطون فى كردفان ، يبعث بهم عادة الى جبال (نوبا) ، وجنود سنار وواد مدنى ، يتوجهون الى جبل (فنج) أو الى بلاد الدنكا، أما الذين فى الخرطوم ، فيذهبون الى بلاد الشلك على النيل الأبيض أو تخوم الحبشة على نهر رهد (٤) ·

وكانت الحملة المجهزة ، تتكون عادة من ألف الى ألفين من القوات المنظمة ، ومن أربعمائة الى ثمانمائة من المغاربة المسلحين بالبنادق ، وكان يصحبهم ثلاثمائة الى ألف من الأهالى المشاه المزودين بالدروع والسهام ومن ثلاثمائة الى خمسمائة آخرين مسلحين ويمتطون ظهور الدواب (٥) ·

---

(١) دفتر معيه تركى : ترجمة المكاتبة رقم ٣٤٠ بتاريخ ١٩ ذى القعدة ١٢٣٧ هـ (٧ أغسطس ١٨٢٢م) ·

(٢) دفتر ١٠ معيه تركى : ترجمة المكاتبة رقم ٤٨ ص ٣٠ بتاريخ ١٥ ربيع أول ١٢٣٧هـ (٩ ديسمبر ١٨٢١م) ·

(٣) دفتر ١٠ معيه تركى : ترجمة المكاتبـــة رقم ١٩٥ بتاريخ ١٦ محرم ١٢٣٩ هـ (٢٢ سبتمبر ١٨٢٣م) ·

(٤) من تقرير مستر هولرويد : ترجمة د . محمد فؤاد شكرى وآخرين : بنـاء دولة مصر محمد على ص ٥٥٠ وما بعدها .

(٥) Pallme, I. : Travels in Kordofan, p. 309.

وتشير الوثائق الرسمية الى استمرار حاكم مصر فى طلبه من المسئولين فى السودان ، المزيد من الرقيق ، والحصول عليهم بكافة الطرق الممكنة ، لسد احتياجات الجيش من جنود باستمرار ، فعندما علم بأن حاكم دنقلة يمنع مرور قوافل العبيد القادمة من كردفان ، أمره بعدم ردهم ، وأرسل الى محمد بك ناظر مصالح أسوان وفرشوط ، أمرا مخصوصا بأن لا يرد الجلابين القادمين من الجنوب ، ويشترى منهم الذكور البالغين الصالحين للجندية ، ولا يتعرض الى من يتبقى معهم من الصبية والنساء ، وكذلك ما يحملون من بضائع مثل الصمغ والريش والعاج ويسمح لهم بالمرور الى القاهرة ٠٠ وفى الوقت نفسه أصدر الأمر الى (عبدى أغا) بعدم توقف الجلابة فى دنقلة ، ويسمح لهم بالمرور الى أسوان (١) ٠

كذلك تشير الوثائق الى أن حاكم مصر ، أمر سر عسكر كردفان ، بعدم رد الجلابة القادمين من دارفور على أعقابهم ، وطلب منه أن يشترى كل من معهم من العبيد البالغين الصالحين للعمل فى الجيش ، بالثمن أو بالجوارى ، وأن يسمح لهم وكل ما معهم من سلع تجارية بالنزول الى مصر ، لأن هذا العمل كما يقول محمد على (يوافق مصلحتنا) (٢) ٠

هذا ولم يقتصر العمل على كل ما سبق ذكره ، بل عقد محمد على ، اتفاقا مع سلطان دارفور ، بشأن جلب السود ، وعمل على تدعيم العلاقات معه ، حتى يتمكن من الحصول على أكبر عدد من الرقيق ، فكانت رسل السلطان تقابل فى مصر بالحفاوة والتكريم والترحاب (٣) ٠

وهكذا تشير الوثائق ، الى أن محمد على استغل كل الوسائل المتاحة أمامه ، بهدف الحصول على أكبر عدد من السود والحاقهم بالجيش الحديث ٠٠ فبجانب الغزوات المسلحة التى كان يرسلها حكام السودان لجلب الرقيق ٠٠ كان الكشاف ومشايخ البلاد يجمعون العبيد من ناحيتهم ويسلمونه الى رجال الحكومة (٤) ٠

---

(١) دفتر ١٠ معيه تركى : صورة ترجمة المكاتبة رقم ٢٢١ بتاريخ غرة رجب ١٢٣٧هـ (٢٤ مارس ١٨٢٢م) ٠

(٢) دفتر ١٠ معيه تركى : ترجمة المكاتبة رقم ٢١٩ بتاريخ ٢٢ رجب ١٢٣٧ هـ (١٤ ابريل ١٨٢٢م) ٠

(٣) دفتر ٧٢٤ ديوان خديوى تركى : ترجمة ملحق المكاتبة رقم ٢١١ ص ٧٦ بتاريخ ٦ رمضان ١٢٤٢هـ (٣ ابريل ١٨٢٧م) ٠

(٤) مخطوطة كاتب الشونة : (تحقيق) الشاطر بصيلى عبد الجليل ص ١١٨

ويلاحظ أن حاكم المديرية فى السودان ، كان عندما يرسل الحملة العسكرية للغزو ، يحرص على ألا يرسل كل مالديه من جنود ، خشية أن يحدث مالا يحمد عقباه ربما من حيث قيام تمرد من قبل الأهالى لسبب أو لآخر ، أو ربما أن تهزم الحملة من قبل الزنوج ٠٠ لذلك كان الحاكم يبقى بعض الجنود فى منطقته ، حفاظا على شـــئون الأمن من ناحية ، والاستعداد لارسال جنود الى حملة الغزو ، اذا استدعى الأمر من ناحية أخرى (١) ٠

والواقع أنه رغم التعليمات الصريحة من محمد على لكل الحكام فى السودان بالمحافظة على الرقيق (٢) ٠٠ فان عمليات الغزو ، كانت لا تخلو من اجراءات غير انسانية من قبل الجنود ، فمثلا ذكر (هو لرويد) أنه حين زيارته لحاكم كردفان (مصطفى بك) وكان عائدا من الغزوة التى قام بها فى جبل (نوبا) ومعه حوالى (٢١٧٨) أسيرا من الزنوج ما بين رجال ونســـاء وصبيان ، لم يجد طبيب الحملة من بينهم غير خمسين شخصا يصلحون للجندية ٠٠ وحتى هؤلاء الخمسون ، لم يصل منهم على قيد الحياة الى الخرطوم الا خمســـة وثلاثون فقط ، بسبب مالاقوه من تعذيب فى الطريق ، الأمر الذى جعل (خورشـــيد باشا) حكمدار السودان ، يلفت نظر (مصطفى بك) لهذا الحادث (٣) ٠٠ لأن تعليمات محمد على تقضى بالمحافظة على سلامة العبيد وارسالهم الى مصر بدون تلف أو ضياع (٤) ٠

وقد حاول الباحث أن يعثر على وثيقة تشير الى تلك الحادثة ، فلم يتمكن ، لأن رواية (هولرويد) على هذه الصورة ، ان كانت صحيحة ، تدل على أن نسبة الصالحين للجندية من بين السود هى ٣٥ الى ٢١٧٨ أى بنسبة ١ر٦٪ تقريبا ، وهذا أمر له من الخطورة بمكان ٠٠ لأن هذا يعنى أن حكومة محمد على أسرت كل سكان السودان وقدمتهم للجندية ٠٠ وهذا غير معقول من حيث المنطق ٠٠ وبالتالى فان رواية (هولرويد) هذه، تعكس وجهة نظر معينة ، وهى تشويه الحقيقة ٠

---

(١) دفتر ٧٨ معيه تركى : ترجمة الامر رقم ٣٤٧ بتاريخ ١٢ ربيع ثان ١٢٥٢ هـ (٢٧ يوليو ١٨٣٦م) ٠

(٢) سنشير الى ذلك بعد قليل

(٣) من تقرير هولرويد : ترجمه د ٠ محمد فؤاد شكرى وآخرين : مرجع سابق ص ٥٥٠ ــ ٥٥١ ٠

(٤) دفتر ١٠ معيه تركى : ترجمة المكاتبة رقم ٣٤٠ بتاريخ ٣ صفر ١٢٣٧ هـ (٣٠ أكتوبر ١٨٢١م) ٠

أوامر محمد على بالعناية بالرقيق :

تنتقل بنا الوثائق الرسمية من أوامر محمد على بخصوص ارسال الرقيق لتجنيدهم فى الجيش الحديث ، الى أوامره المتلاحقة الى المسئولين بالعناية بهم ، فتشير تلك الوثائق الى أن والى مصر ، حرص منذ البداية ، على تهيئة المناخ المناسب ، وتوفير كل مستلزمات الراحة لهؤلاء الجنود ، حتى يحصل على الثمرة المرجوة ، بعد تلك الجهود التى بذلها ، والتكاليف التى تحملتها الخزينة المصرية فى ذلك السبيل ٠

لذلك بعد أن وقع الاختيار على أسوان لتكون مركزا لتجنيد الجيش الجديد ، وذلك لبعدها عن القـــاهرة ومؤثراتها من ناحية ، وقربها من السودان من ناحية أخرى (١) ٠٠ أخذ محمد على يختار بنفسه المسئولين ممن تتوفر فيهم صفات الاخلاص والكفاءة ٠٠ فكان تعيين (محمد بك) مأمور جهات اسنا وأسوان ، مشرفا على هذا المعسكر الجديد ، دليلا على عزم الوالى ، على انجاح تجربة الرقيق فى تكوين الجيش الحديث (٢) ٠

هذا وقد زوده محمد على بكل السلطات اللازمة ، لتنفيذ التجربة ، وأمر جميع الضباط فى أسوان باطاعة أوامره وحذرهم من مخالفته (٣) ٠٠ وطلب من (الأغوات (فى أسوان ، التعاون معه من أجل راحة المجوبين من السودان (٤) ٠

وقد فطن محمد على الى أن انتقال الجنود السودانيين الفجائى من حياتهم البدائية التى كانوا يعيشونها ، الى حياة جديدة غير متعودين عليها ، ربما لا تجد هوى فى نفوسهم ، لذلك رأى أن يجذبهم الى تلك الحياة ، وأن يرغبهم فيها ، فأمر ناظرا مصلحتى أسوان وفرشوط ، باعداد الثكنات اللازمة فى أسوان لايواء هؤلاء الجنود المجلوبين ، وأن تتوفر فى تلك الثكنات الشروط الصحية ، وتتسع المنشأت لايواء أربعة آلاف فرد على الأقل (٥) ٠

---

(١) د ٠ السيد رجب حراز : مرجع سابق ص ٢٢٧ ٠

(٢) دفتر ٩ معيه تركى : ترجمة المكاتبة رقم ١٠٥ ص ٣٦ بتاريخ ٢٧ محرم ١٢٣٧ هـ (٢٤ أكتوبر ١٨٢١م) ٠

(٣) دفتر ٩ معيه تركى : ترجمة المكاتبة رقم ٣٠٧ ص ١٠٠ بتاريخ ٢٧ ذى الحجة ١٢٣٦ (٢٦ سبتمبر ١٨٢١م) ٠

(٤) دفتر ١٠ معيه تركى : ترجمة المكاتبة رقم ٢٢٤ بتاريخ ٢٧ رجب ١٢٣٧ هـ ٤ فبراير ١٨٢٢م) ٠

(٥) دفتر ١٠ معيه تركى : ترجمة المكاتبة رقم ٢٢٤ بتاريخ ٢٧ رجب ١٢٣٧ هـ (١٩ ابريل ١٨٢٢م) ٠

ولما كان تجهيز الثكنات العسكرية المطلوبة للجنود ، يستغرق بعض الوقت ، الأمر الذى يعرضهم لتقلبات الطقس ، لذلك خشى محمد على من أن يحدث بهم ضرر ، فأمر بارسال خمسمائة خيمة لايوائهم ، حتى يتم بناء الثكنات اللازمة لهم (١) ٠

وفى الوقت نفســـه طلب من حاكم دنقلة أن يرسل الأخشاب عن طريق النيل الى أسوان وأرسل له خمسة عشر نجارا ومائتا بلطة لقطع الأخشاب المطلوبة (٢) حتى يتمكن (محمد بك) المشرف على المعســـكر والمسئولون معه ، من الاسراع فى تجهيز الثكنات (٣) ٠

ومن ناحية أخرى ، أمر محمد على بتوفير الأغذية والملابس والأدوية للمجلوبين فأصدر أوامره الى متصرف جرجا بأن يوفر احتياجاتهم من الطعام ، وأن يقدم لهم وجبات ســـــاخنة ، أى لحم وأرز ــ مرتين فى الأسبوع ، ويصرف لهم ثمانية قروش كل شهر (٤) ٠

وشدد محمد على بأن تكون ملابسهم أنيقة ولائقة بحياتهم العسكرية الجديدة ٠٠ فحين علم أن قماش البفته المستورد من أسيوط ، لا يصلح لصناعة قمصان الجنود (٥) ٠٠ أمر متصرف جرجا بأن يدقق بنفسه فى عروض البفته ، وأن ينعم النظر فيها ، فاذا كانت غير موافقة للمعدل ، وانها لن تتحمل وستبلى فى وقت قريب ، أمره بأن يوقع الجزاء على صانع تلك البفته ، ويؤدبه ويربيه بحسن الاقتضاء (٦) ٠

وفى الوقت نفسه أمر (محمد على) باعداد ألف قطعة أو أكثر من قماش الزعبوط المنسوج من الخيط المغزول من الصوف الأبيض ، وأن

---

(١) دفتر ٦ معيه تركى : ترجمة المكاتبة رقم ٧٦٨ ص ١١٣ بتاريخ ٢٧ ذى الحجة ١٢٣٦ هـ (٢٦ سبتمبر ١٨٢١ م) ٠

(٢) دفتر ١٠ معيه تركى : ترجمة المكاتبة رقم ١١ بتـــاريخ ١٢ محرم ١٢٣٧ هـ (١٠ أكتوبر ١٨٢١) ٠

(٣) دفتر ٦ معيه تركى : ترجمة المكاتبة رقم ١٦ ص ٥ بتاريخ ٦ محرم ١٢٣٦ هـ (١٤ أكتوبر ١٨٢٠) ٠

(٤) دفتر ١٠ معيه تركى : ترجمة المكاتبة رقم ١٧٤ بتاريخ ٢٥ جماد أول ١٢٣٧هـ (١٩ فبراير ١٨٢٢م) ٠

(٥) دفتر ١٠ معيه تركى : ترجمة المكاتبة رقم ١٢٣ بتاريخ ١٤ جماد أول ١٢٣٧هـ (٨ فبراير ١٨٢٢م) ٠

(٦) دفتر ١٠ معيه تركى : ترجمة المكاتبة رقم ١٢٤ بتـــاريخ جماد أول ١٢٣٧ هـ (٨ فبراير ١٨٢٢م) ٠

ترسل على الفور الى المشرف على المعسكر لتحاك منها قمصان الجنود (١) بالشكل الذى يتلاءم مع قوامهم وأبدانهم (٢) ٠٠ وأن يعين صانع احديه وعدد من المساعدين لصناعتها وتوفيرها لهؤلاء المجلوبين بشـــكل يريح أقدامهم (٣) ٠

ومن الناحية الصحية ، فقد اهتم محمد على بهؤلاء الجنود اهتماما كبيرا ، فقبل أن يلحقوا بمعسكرات التدريب ، كان يجرى عليهم الكشف الطبى بدقة ، وكان محمد على لا يتسامح مع أى طبيب يتقاعس فى أداء عمله على أكمل وجه ٠٠ وظل يصدر الأوامر من حين لآخر للمســئولين ولحكام السودان بأن يعتنوا بصحة الجنود المجلوبين ٠٠ ويحثهم على طلب الأدوية اللازمة لهم ، وكان يعاقب كل من يتســبب فى اصابة الجنود بالأمراض ، بسبب الاهمال فى طلب الأدوية (٤) ٠٠ لذلك كان الأطباء والممرضون فى حالة تعبئة حين وصول الرقيق ، فيقومون بتطعيمهم ضد الجدرى ومعالجتهم من كافة الأمراض الأخرى (٥) ٠

هذا ولم تقتصر الوثائق على ما سبق ذكره ، بل تشير كذلك الى اهتمام محمد على بالرقيق ، اهتماما يدحض بالدليل المادى المطاعن التى وجهت اليه حول هذا الموضوع ، فتتوالى الرسائل منه الى حكام السودان، والى المسئولين فى مصر ، ببذل كافة الجهود لتوفير كل المستلزمات الخاصة براحة العبيد ، والمحافظة عليهم ، منذ بداية انتقالهم من مواطنهم ، لأنهم صاروا ــ فى نظره ــ خاضعين لحكمه ، ومن ثم فهو مسئول عنهم (٦) ٠

لذلك حين علم أن بعض الرقيق يتعرضون للهلاك ، بســبب طول الرحلة بين جهات السودان ومصر ، فى ذلك الوقت ، وما يعانونه من الظمأ ولفحات الشمس فى الطرق الصحراوية ٠٠ صدرت الأوامر فورا من القاهرة الى (محو بك) حاكم بربر وشندى ، بحفر الآبار فى صحراء

---

(١) دفتر ١٠ معيه تركى : ترجمة المكاتبــة رقم ٢٦٨ بتــاريخ ٨ رمضان ٢٣٧ هـ ٢٩ مايو ١٨٢٢م) ٠

(٢) دفتر ٦ معيه تركى : ترجمة المكاتبة رقم ٥٦٢ بتــاريخ ٢٧ شــوال ١٢٣٦ هـ ١٠ نوفمبر ١٨٢٣ م) ٠

(٣) دفتر ٦ معيه تركى : ترجمة المكاتبــة رقم ٥٦٢ بتــاريخ ٧ شــوال ١٢٣٦ هـ (٢٦ يوليو ١٨٢١م) ٠

(٤) دفتر ٤٧ معيه تركى : ترجمة المكاتبة رقم ٥٧١ بتاريخ ٢٦ جماد ثان ١٢٤٩هـ (٢٠ نوفمبر ٨٣٣م) ٠

(٥) دفتر ٩ معيه تركى : ترجمة المكاتبة رقم ٣٦٠ ص ١١٤ بتاريخ ٦ جماد أول ١٢٣٧هـ (٢٩ يناير ١٨٢٢م) ٠

(٦) د ٠ جلال يحيى : مرجع سابق ص ٤٠ ٠

العتمور ٠٠ لتوفير ميـــاه الشرب للرقيق المجلوبين من أعالى النيـــل الأبيض (١) ٠

وقد نفذ (محو بك) تعليمات الوالى ، ودبر كل الوسائل الممكنة التى تكفل وصول أفراد الرقيق الى مصر سالمين ، وحتى لا يصيبهم اى ضرر من شأنه أن يعرض حياتهم للخطر (٢) ٠

هذا وقد أرســـل محمد على الى ابنه ابراهيم ، ليلفت نظر حكام الأقاليم بالسودان ، الى ضرورة الحفاظ على أرواح الزنوج ، واتخاذ كل الاجراءات لراحتهم ، (**اقتراح**) وقد اقترح (ابراهيم) صناعة نوع من النقورات (أى قوارب) لينقل عليها أفراد الرقيق ، من بربر الى وادى حلفا ، فأصدر محمد على الأمر لحاكم دنقلة ، بتعيين مأمور للاشراف على صناعة تلك النقورات (٣) ٠ والبدء فورا فى صناعتها (٤) ٠

وقد تعهد حاكم بربر من جهته ، بتنفيذ أوامر الوالى ، وصـــناعة النقورات المطلوبة ، اذا توفرت لديه الخامات اللازمة من أخشاب ومسامير وغيرها بالاضافة الى الآلات المطلوبة (٥) ٠٠

وبدأ محمد على يعمل على توفير تلك الخامات ، فطلب من محافظ ابريم تدبير العمل والصناع المهرة اللازمين لصناعة النقورات (٦) ، وأن يقوم ناظر مصلحتى اسنا وأسوان ، بارسالهم فورا الى دنقلة ، مع صرف مرتبات شهرية لهم ، قدرها عشرون قرشا للصانع وعشرة قروش للعامل ، لترغيبهم وتشجيعهم على القيـــام بهذا العمل ، وانجازه فى أقل وقت ممكن (٧) ٠

---

(١) دفتر ١٠ معيه تركى : ترجمة الأمر رقم ٢٣٢ بتـاريخ ٢ شـــعبان ١٢٣٧ هـ (٢٤ ابريل ١٨٢٢ م) ٠

(٢) دفتر ١٠ معيه تركى : ترجمة الأمر رقم ١٢ بتـــاريخ ٢٧ محـرم ١٢٣٧ هـ (٢٤ أكتوبر ١٨٢١ م)

(٣) دفتر ٩ معيه تركى : ترجمة المكاتبـة رقم ١٠٦ بتـاريخ ٨ محـرم ١٢٣٧ هـ (١٥ أكتوبر ١٨٢١ م) ٠

(٤) دفتر ٩ معيه تركى : ترجمة المكاتبة رقم ٨٨ ص ٣٢ بتاريخ ٢٦ محرم ١٢٣٧ هـ (٢٣ أكتوبر ١٨٢١ م) ٠

(٥) دفتر ٩ معيه تركى : ترجمة المكاتبة رقم ٢٦٥ بتاريخ ١٢ ربيع أول ١٢٣٧ هـ (٧ ديسمبر ١٨٢١ م) ٠

(٦) دفتر ٩ معيه تركى : ترجمة الأمر رقم ٩٤ ص ٣٤ بتاريخ ٢٧ محرم ١٢٣٧ هـ (٢٤ أكتوبر ١٨٢١ م) ٠

(٧) دفتر ١٠ معيه تركى : ترجمة الأمر رقم ١٦٤ بتاريخ ٦ جماد ثان ١٢٣٧ هـ (٢٨ فبراير ١٨٢٢ م) ٠

الخامات والآلات اللازمة لهذه الصناعة الى دنقلة ، محمولة على ظهور الجمال التى جمعت من الصعيد عن طريق متصرف جرجا (١) ٠

وبعد أن أتم حاكم دنقلة صناعة أربعين نقورة ، طلب محمد على منه أن يبدأ فى صناعة أربعين نقورة أخرى ، وأن يبذل الجهد فى صناعة غيرها ، على أن تستكمل فى أواخر شهر رمضان ١٢٣٧ هـ لأن البيك الدفتردار ، يرغب فى انزال الزنوج الذين يؤتى بهم من بلاد الشـــلك القاطنين سواحل النيل الأبيض الى حلفاية بواسطة تلك النقورات (٢) ٠

هذا وقد تشدد حاكم مصر ، مع حاكم دنقلة ، فيقول له ٠٠ « انه لما كان وصول العبيد سالمين الى أسوان ، يتوقف على انشاء النفورات التى تصنع باشرافكم واستخدامها فى هذا الغرض ، فقد أكدنا عليكم غير مرة ، ووصيناكم وشددنا عليكم شحنها بواسطة مندوبكم ، وقد تبينتم من حقيقة رغبتنا من كل الوجوه ، ومع ذلك فان الظروف أوجبت تأكيد هذا الأمر الأهم واستعجاله ، فاجتهدوا فى اتمام صنع النقورات المطلوبة فى أقرب وقت ممكن واستعملوها فى جلب العبيد » (٣) ٠

وقد وزعت النقورات المجهزة على الشلالات الموجودة فى أقاليم بربر ورباطات وشندى لنقل الرقيق من جهات السودان الى وادى حلفا (٤) ٠٠

ومن وادى حلفا الى أسوان ، حيث مركز التدريب ــ كان الرقيق يجد كل مســـتلزماته مدبرة ومتوفرة ، فكان (عمر أغا) المشرف على شئون الرقيق بأسوان يعمل بكل همة لتوفير كافة احتياجات الزنوج من أغذية وأدوية وغيرها ٠٠ حتى لا يشعر أى فرد منهم بالغربة عن موطنه ولا يحس بالضيق والضجر ، ليصلوا الى مقر حيـــــاتهم الجديدة فى اطمئنان (٥) ٠ ومن ثم يقبلون على حياتهم العسكرية بقلوب مفتوحة ، تحقيقا لرغبات والى مصر ٠

---

(١) دفتر ٩ معيه تركى : ترجمة المكاتبة رقم ٢٦٥ بتاريخ ١٢ ربيع ثان ١٢٣٧ هـ (٦ يناير ١٨٢٢م) ٠

(٢) دفتر ١٠ معيه تركى : ترجمة صورة المكاتبة رقم ٢٢١ بتاريخ ٢٢ رجب ١٢٣٧ هـ (١٤ ابريل ١٨٢٢م) ٠

(٣) دفتر ١٠ معيه تركى : ترجمة المكاتبة رقم ٣٤٢ بتاريخ ١٩ ذى العقدة ١٢٣٧هـ (٧ أغسطس ١٨٢٢م) ٠

(٤) دفتر ١٠ معيه تركى : ترجمة الامر رقم ١٤ ص ٧ بتاريخ ٢٧ محرم ١٢٣٧ هـ (٢٤ أكتوبر ١٨٢٢م) ٠

(٥) دفتر ١٦ معيه تركى : ترجمة المكاتبة رقم ٥٧٢ بتاريخ ١٧ ربيع أول ١٢٤٠هـ (٩ نوفمبر ١٨٢٤م) ٠

فالواقع أن محمد على لم يدخر وسعا فى تذليل أى مشكلة للمحافظة والعناية بالرقيق ، فمثلا لما تكررت اعتداءات قبائل البقارة والكبابيش على قوافل العبيد المرسلين من السودان الى مصر ، وتستولى على الرقيق القادم من كردفان ، أمر محمد على بالتصدى لتلك القبائل حتى تقلع عن أساليب النهب وقطع الطرق التى كانت تمارسه قبل الفتح المصرى لتلك البلاد(١) · ولما قويت شوكة هذه القبـــائل وكثرت غاراتهم على القوافل الوافدة من كردفان من ناحية ، وتكرار غارات بعض قبائل البشاريين فى جهات بربر على القوافل القادمة من سنار من ناحية أخرى ·· حيث هجموا على ألف وثلاثمائة فرد من الزنوج ، كان الدفتردار قد أرسلهم الى مصر ، وتمكنوا من الاستيلاء عليهم (٢) ، وأصدر والى مصر أوامره بزيادة القوة المسلحة لحراسة العبيد أثناء الرحلة من السودان الى مصر ، **تحت اشراف حاكم** دنقلة ، حتى يردع قطاع الطرق وينشر الأمن فى البلاد ·

تقييم تجربة تجنيد الرقيق فى الجيش الحديث :

ذكرنا أن محمد على كان يرى أن تحقيق حلمه فى بنـــاء دولة مصر الحديثة ، يتوقف على نجاحه فى تكوين الجيش المدرب على الأســـاليب العسكرية الأوربية وقتذاك ، فقد طلب من ابنه (ابراهيم) اعداد قائمة بتحديد النظام الخاص لتقسيم الجيش الى آلايات وأورط وسرايا (٣) ·

ومن ناحية أخرى ترك الفلاحين المصريين لفلاحة الأرض والتوسع فى زراعتها ، وسخر كل الامكانيات وذلل العقبات ، فى سبيل جلب الرقيق من السودان لتجنيدهم فى ذلك الجيش ·

ولكن رغم كل الجهود التى بذلت من جانبه ومن جانب المسئولين فى حكومته ، من أجل انجاح تجربة تجنيد الرقيق ، فانها ــ بصفة عامة ــ باءت بالفشل ، ربما لعدم جلب العدد الكافى من الرقيق اللازم لتكوين الجيش ·· وربما بسبب تغير البيئة والمناخ واصـــابتهم بالأمراض التى لم تفلح معها العقاقير وقتذاك ، الأمر الذى ترتب عليه أن تلقفهم الموت بكثرة ، أزعجت

---

(١) د · محمد فؤاد شكرى : الحكم المصرى فى السودان ص ١١ ·

(٢) دفتر ١٦ معيه تركى : ترجمة الوثيقة رقم ١٨٥ بتاريخ ١٩ جماد ثان ١٢٣٩هـ (٢٠ فبراير ١٨٢٤م) ·

(٣) دفتر ١٠ معيه تركى : ترجمـة الامر رقم ٢٠٩ بتـــاريخ ١٨ رجب ١٢٣٧ هـ (١٠ آبريل ١٨٢٢ م) ·

محمد على نفسه ، ومن ثم خاب أمله فى امكان الاعتماد على الرقيق فى تكوين الجيش النظامى (١) ٠

لذلك غير محمد على وجهة نظره ، واتجه الى تجنيد المصريين ، الذين صاروا يؤلفون الجيش النظامى ، ووصل عدده فى سنة ١٨٢٤ الى أربعة وعشرين ألف جندى(٢) ، وصار الجيش من أحسن الجيوش فى الشرق(٣) ٠

وليس معنى ذلك أن الجيش المصرى كان خاليا من الجنود السودانيين، فقد ظل الجيش ، ينتظم فرقا من العبيد ، وكانت هناك بلوكات كاملة مكونة من أبناء السودان ، وفتح أمامهم باب الترقى الى درجة الضباط ٠٠ فقد وصل (آدم بك العريفى) وهو من الجنـود الزنوج الى رتبة (أمير لاى) فى عام ١٨٦٧ ٠

فقد ترتب على صلات القربى بين البلدين ، واجب مشترك ، ربط بينهما فى ميادين القتال التى خاضها محمد على وخلفائه من بعده ، وان ظل المصريون يشكلون العنصر الأساسى فى الجيش النظامى ٠

ولا بأس من أن نعطى نماذج من أعمال الرقيق فى الجيش ، حتى نتمكن من تقييم عملهم ، ومن ثم الحكم عليها ٠٠ فنقول ، أنه بعد أن تم تدريب أول ست آلايات من المصريين والرقيق ، على النظام الحديث فى أسوان ، أرسل محمد على أربعة منها ضمن الجيش الذى أرسله بقيادة ابراهيم باشا ـ استجابة لطلب الدولة العثمانية ـ لاخماد ثورة اليونان ، والمحافظة عليها ، كما شارك الجنود السودانيون مع الجنود المصريين فى محاربة الحركة الوهابية ، التى كانت تطل برأسـها من آن لآخر ، ضد الوجود المصرى هناك ، فقد أرسل محمد على فى سنة ١٨٢٣ ، ألألاى الثانى من ألألايات الست التى سبق أن تم تدريبها بقيادة (محمد بك) ليعزز به القوات المصرية فى تلك الجهات (٤) ٠

---

(١) د٠ مكى شبيكة : تاريخ شعوب وادى النيل ص ٣٤٠ ٠

اذا كان الحصـول على الرقيق الدافع الرئيسى لفتح السـودان ٠٠ فبعـد أن فشلت تجربة تجنيدهم فى الجيش ٠٠ كان فى امكان محمد على أن يتخلى عن البلاد. لكن هناك عوامل أخرى ـ كما ذكرنا ـ أهم من الرقيق ، جعلته يستمر فى مد التنظيمات المصرية الحديثة الى السودان ، كما طبقها فى مصر نفسها ٠

(٢) د٠ السيد ٠جب حراز : مرجع سابق ص ٢٢٨ ٠

(٣) Hill, R. : Op. Cit., pp. 108-113.

(٤) د٠ عبد الرحمن زكى : الجيش المصرى فى عهد محمد على ص ٣٧ ٠

هذا وكان محمد على قد أمر من قبل متصرف جرجا بسرعة ارسال السودانيين الى الحجاز للقيام بالعمل هناك (١) ٠٠ فقد تلاحظ ان الجنود الأتراك لا يستطيعون البقاء طويلا فى تلك البلاد ، نظرا لجوها الحار ، وأن السودانيين فى امكانهم سد الفراغ ، فى الجيش هناك ، نظرا لتشابه الطقس ـ الى حد ما ـ بطقس السودان ٠

وعندما اشتعلت الثورات فى الشام ضد حكومة محمد على ، بعد معاهدة (كوتاهية) التى عقدت بينه وبين السلطان العثمانى (٢) ٠٠ تشجع الوهابيون فى الحجاز ، وتشددوا فى معارضة الحكم المصرى فى عام ١٨٣٥ ، فأعد خورشيد باشا حكمدار السودان ، ألايا من الجنود ، هو ألالاى الرابع والعشرين لمعاونة القوات المصرية المنتشرة فى أرجاء الحجاز (٣) ٠

وفى السودان ، رأى محمد على ، أن يخفف من طلبات الحكام الخاصة بتزويدهم بقوات عسكرية مدربة ٠٠ وأن يستفيد من خدمات الرقيق الذى تم تدريبه مع المصريين فى أسوان ٠٠ فأرسل فى ٥ يناير ١٨٢٤ (عثمان بك) على رأس الآلاى الأول الى سنار وكردفان (٤) ، رغم أن محمد على كان فى حاجة الى ذلك ألالاى لارساله الى المورة للمشاركة فى اخماد الثورة هناك ضد الحكم التركى ٠

وبعد أن اشتد الخلاف بين السلطان العثمانى ومحمد على ، وبات من المتوقع قيام الحرب بينهما فى الشام ٠٠ وازاء استقرار الأحوال ـ الى حد ما ـ فى السودان ، بفضل ادارة خورشيد الحكيمة ، والحازمة فى الوقت نفسه ، فانه كان على والى مصر أن يكتل قواته فى الشام ، ويسهم الجنود السود فى حفظ الأمن والدفاع عن السودان ٠

لذلك كان محمد على يرسل المكاتبة تلو الأخرى الى حكام السودان ، يحثهم على القيام بمهـــامهم ، وأن يعملوا على تدعيم الحاميات بالجنود

---

(١) دفتر ١٠ معيه تركى : ترجمة المكاتبة رقم ١٤٥ بتاريخ ٢٥ جماد أول ١٢٣٧ هـ (١٧ فبراير ١٨٢٢م) ٠

(٢) تمت المعاهدة فى ٨ ابريل ١٨٣٣ ، وبمقتضاها تم تثبيت محمد على فى حكومة مصر والشام وكريت ، ولكن لم تلبث أن انفجرت الثورة فى الشام فى عام ١٨٣٤ بتحريض من الباب العالى ، رغم جهود الحكومة المصرية فى النهوض بالبلاد ٠

(٣) دفتر ٦٧ معيه تركى : ترجمة الأمر رقم ٢٨٦ بتـــاريخ ٨ شـــعبان ١٢٥١ هـ (٢٩ نوفمبر ١٨٣٥م) ٠

(٤) د٠ عبد الرحمن زكى : مرجع سابق ص ٢٧٠

السود .. ففى رسالة منه الى ناظر سنار ، ذكر أن الميرألاى (رستم بك) حاكم كردفان ، أكمل النقص الذى عنده فى أورطة الجهادية من العبيد.. ويقول له .. كتبت لكم أن تكملوا الأورطة التى هى فى جزيرة ســـــنار بمعرفتكم من العبيد الذين هم فيها (١) ..

وعلى ضوء تلك الأوامر ، استمر خورشيد باشا فى اكمال النقص فى الأورط العسكرية المرابطة فى السودان من الجنود السود ، لاستقرار الأمن والمحافظة على حدود البلاد من الاعتداءات الخارجية خاصة من جانب الأحباش .

والواقع أنه رغم تلك المشـــاركة التى قام بها الرقيق فى الجيش الحديث ، فانه لم يحقق الهدف الذى كان يتطلع اليه محمد على فى تكوين هذا الجيش ، وأن يستثمر المصريين فى الزراعة والصناعة ..

لذلك ترتب على جلب الرقيق من السودان ، أن خسرت الخزينة المصرية الكثير من الأموال ، وان كانت تجربة تجنيدهم ، أفادت السودان نفسه ، حيث بدأت تتكون منهم نواة للقوات السودانية المدربة ، صارت تتزايد مع الأيام ، الى الحد الذى شاركت ، مع القوات المصرية ضد الاحتلال الانجليزى كما حدث فى عام ١٩٢٤ على سبيل المثال .

خاتمة : يتضح لنا من ذلك العرض السريع النقاط الآتية :

١ ـ كان الرق فى السودان من المسائل المتأصلة فى المجتمعات السودانية ، وكان من أهم الأركان فى بناء اقتصاديات تلك المجتمعات ، ومن ثم كان نظاما متوارثا عن الآباء والأجداد .

٢ ـ زادت التجارة فى الرقيق بشكل ملفت للأنظار قبيل الفتح المصرى للسودان ، بسبب الوضع السياسى المتردى الذى وصلت اليه ممالك ودويلات السودان .

٣ ـ لم يكن الحصول على الرقيق لتجنيدهم فى الجيش الحديث ، هو العامل الرئيسى لفتح السودان ، فقد كانت هناك عوامل أكثر أهمية من ذلك .

٤ ـ كانت نظرية محمد على ، أن جلب الرقيق فى ظل وجـــود الادارة

---

(١) دفتر ٣٦ معيه تركى : ترجمة المكاتبة رقم ٢١٢ بتاريخ ١٦ ربيع ثان ١٢٤٣ هـ (٦ نوفمبر ١٨٢٧) .

المصرية فى السودان ، يكلفه نفقات بسيطة بالقياس اذا قام بشرائه مباشرة من السلاطين والجلابة فى السودان قبل الفتح ٠

٥ ـ رأى محمد على أنه من أسس بناء الدولة الحديثة ، أن يستفيد من أبناء وادى النيل ، وذلك بأن يجند السـودان فى الجيش ، نظرا لبسالتهم فى القتال وصبرهم واطاعتهم للرؤساء ، وأن يفلح المصريون الأرض ويتوسعون فى زراعتهـا نظرا لخبرتهم الطويلة فى ذلك الميدان ، وبمعنى آخر ، القاء مهمة الأعمـال الحربية على عاتق السودانيين ، والقاء مهمة الأعمـال فى المشروعات المدنية على عاتق المصريين ٠

٦ ـ تجنيد الرقيق السودانى فى الجيش الحديث ، ليست فكرة جديدة ، فقد سبق لحكام مصريين أن جندوا السود فى جيوشهم ٠

٧ ـ ترتب على قيام الثورة فى اليونان ـ ضد الحكم التركى ـ أن ازدادت طلبات محمد على من المسئولين فى السودان لجلب الأعداد الكثيرة من الرقيق لتجنيدهم فى الجيش ٠

٨ ـ أثبتت الوثائق الأصلية ، اهتمام محمد على بالرقيق ، من حيث توفير كل وسائل الراحة والمعيشـة لهم وفتح أبواب الترقى أمامهم فى الجيش ٠

٩ ـ رغم فشل تجربة تجنيد الرقيق ، والخسارة التى تحملتها الخزينة المصرية نتيجة النفقات عليهم ، فان التجربة أفادت السودان ذاته ، وذلك بأن تكونت نواة من القوات السودانية المحلية المدربة ٠

١٠ ـ ان الوعى الذى انتشر بين الرقيق السودانى فى العصر الحديث ، مرده أولا وأخيرا الى اختلاطهم بالقوات المصرية ٠٠

مصادر البحث

أولا : وثائق أصلية ٠

اعتمدت فى هذا البحث على الوثائق الأصـــلية ، المحفوظة بالدفاتر والمحافظ الآتى أرقامها ٠٠ وهى مودعة بدار الوثائق القومية بالقلعة :

- دفاتر معية تركى : أرقام : ٦ ، ٧ ، ٩ ، ١٠ ، ١٤ ، ١٦ ، ٢٠ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٤٧ ، ٦٦ ٠
- دفاتر صادر المعية تركى : أرقام : ٧١ ، ٧٨
- دفاتر عابدين : أرقام : ٢٢١ ، ٢٢٣
- دفاتر صادر ديوان المعاونة : دفتر رقم ٣٠٦
- دفاتر صادر المعية السنية : دفتر رقم ٤١٣
- دفاتر ديوان خديوى تركى : أرقام : ٧٣٤ ، ٧٤٤ ، ٧٥٢
- محافظ بحربرا : أرقام ٨ ، ١٩

ثانيا : وثائق منشورة :

١ ـ تقرير جون بورنج (John Bowring) الذى جاء الى مصر فى عام ١٨٣٧ من قبل حكومة انجلترا ، فكتب تقريرا عن حالة البلاد فى ذلك الوقت من النواحى الاقتصادية والادارية والعسكرية ، بجانب حديثه المشهور مع محمد على عن الرق والتجارة فيه ، وقد ترجم الدكتور محمد فؤاد شكرى وآخرين هذا التقرير فى كتاب : بناء دولة مصر محمد على « السياسة الداخلية » ٠

٢ ـ تقـريد أرثر هولرويد (Arther Holroyd) الســـائح الانجليزى الذى زار الســـودان ، ووقف على نظام الرق وتجارة الرقيق هناك ، وقد اعتمد بورنج فى كتابته عن الغزوات على أقوال هولرويد ، والتقرير مترجم ومنشور فى الكتاب السابق ذكره ٠

ثالثا : مراجع عربية ومعربة ٠

١ ـ د ٠ السيد رجب حراز :

المدخل الى تاريخ مصر الحديث القاهرة ١٩٧٠

٢ ـ **الشاطر بصيلى عبد الجليل :**
معالم تاريخ سودان وادى النيل من القرن العاشر الى القرن التاسع عشر القاهرة ١٩٥٥

٣ ـ **الشاطر بصيلى عبد الجليل : :**
(محقق) مخطوط كاتب الشونة فى تاريخ السلطنة السنارية والادارة المصرية القاهرة ١٩٦١

٤ ـ **أنجلو ساماركو :**
رحلة محمد على الى السودان (تعريب طه فوزى) القاهرة ١٩٤١

٥ ـ **بوركهارت (جون لويس) :**
رحلات بوركهارت فى بلاد النوبة والسودان (تعريب فؤاد أندراوس) القاهرة ١٩٥٥

٦ ـ **د ٠ جلال يحيى :**
مصر الافريقية والأطمـــــاع الاستعمارية فى القرن التاسع عشر القاهرة ١٩٦٧

٧ ـ **جورج يانج :**
تاريخ مصر بين عهد المماليك الى نهاية حكم اسماعيل (تعريب على أحمد شكرى) القاهرة ١٩٣٧

٨ ـ **د٠ حسن أحمد ابراهيم :**
محمد على فى السودان الخرطوم بدون تاريخ

٩ ـ **د ٠ حسن أحمد محمود :**
الاسلام والثقافة العربية فى افريقيا ج ١ القاهرة ١٩٦٣

١٠ ـ **د راشد البراوى :**
مجموعة الوثائق السياسية القاهرة ١٩٥٢

١١ ـ **د ٠ شوقى الجمل :**
تاريخ سودان وادى النيل جزءان القاهرة ١٩٦٩

١٢ ـ **عبد الرحمن الرافعى :**
عصر محمد على القاهرة ١٩٥١

١٣ ـ د ٠ عبد الرحمن زكى :
التاريخ الحربى لعصر محمد على الكبير القاهرة ١٩٥٠

١٤ ـ د ٠ عبد الرحمن زكى :
أعلام الجيش والبحرية فى مصر فى القرن التاسع عشر ج ١ القاهرة ١٩٤٧

١٥ ـ د ٠ فردريك بنولا :
مصر والجغرافيا (تعريب أحمد زكى) القاهرة ١٩٣٧

١٦ ـ د ٠ محمد البهى :
الاسلام والرق القاهرة ١٩٧٨

١٧ ـ د محمد صبرى :
الامبراطورية السودانية فى القرن التاسع عشر القاهرة ١٩٤٩

١٨ ـ د ٠ محمد فؤاد شكرى :
الحكم المصرى فى السودان القاهرة ١٩٤٧

١٩ ـ د ٠ محمد فؤاد شكرى وآخرين :
بناء دولة مصر محمد على القاهرة ١٩٤٨

٢٠ ـ د ٠ مصطفى محمد مسعد :
الاسلام والنوبة فى العصور الوسطى القاهرة ١٩٦٠

٢١ ـ د ٠ مكى شبيكه :
السودان فى قرن (١٨١٨ ـ ١٩١٩) القاهرة ١٩٤٧

٢٢ ـ د ٠ مكى شبيكه :
السودان عبر القرون القاهرة ١٩٦٦

٢٣ ـ د ٠ مكى شبيكه :
تاريخ شعوب وادى النيل (مصر والسودان فى القرن التاسع عشر) القاهرة ١٩٦٥

٢٤ ـ د ٠ نسيم مقار :
الرحالة فى السودان فى النصف الأول من القرن التاسع عشر (الرحالة جون باتريك) القاهرة ١٩٦١

٢٥ ـ د ٠ نسيم مقار :
الرحالة يران روليه القاهرة ١٩٦١

٢٦ ـ د ٠ نسيم مقار :
الرحالة بالم القاهرة ١٩٦١
٢٧ ـ د ٠ نعوم شقير :
تاريخ السودان القديم وجغرافيته (ثلاث أجزاء) بيروت ١٩٦٧

رابعا مراجع أجنبية :

1 — Deherian, Hernri : Le sudan Egyptien sous Mehemet Ali. Vol II. (Paris 1898)

2 — Dodwell, H. The Founder of Modern Egypt, A study of Mohamed Ali. (Cambrige 1931)

3— Douin, G. : Histoire du Regne de Khedine Ismail. Tom III. (Le Caire 1936)

4 — Gray, Richard. : A. History of the Southern Sudan (1839 — 1889) (London1935)

6 — Hill, Richard. : On the Frontiers of Islam. (London 1959)

6 — Hill, Richard. : On the Frontiers of Islam. ((London 1970)

7 — Pallme, I. : Travels in Kardofan. Translated from the German) (London 1861)

8 — Petherick, J. : Egypt, the Sudan and Central Africa. (London 1861)

9 — Salry, M. L' Empire Egyptien sous Mohemed Ali. (Paris 1930)

10 — Shukry, M. F. : The Khedive Ismail and Slavery in the Sudan.
Sudan. (1863 — 1879) (Cairo 1938)

11 — Waddington, G. : Jaurnal of visit to some parts of Ethiopia (London 1822)